

## الفصل الرابع: علم الاجتماع، الموضوع والنظريات الأساسية

### تمهيد:

نشأ علم الاجتماع في خضم التطورات الاجتماعية والاقتصادية (جاء الثورة الصناعية) التي شكلت الأرضية المادية لنشأة علم الاجتماع، وكذلك من خلال المعركة الفكرية التي ترتبت عن الثورة الفرنسية باعتبارها المنطلق الفكري لتلك النشأة<sup>1</sup>، وقد كان تاريخ هذا العلم نتاج مجموعة من العلماء والمفكرين متعددين الانتماءات والمنطلقات. فالمعرفة البشرية ليس حكرا على شعب أو دين أو حضارة بعينها، وإنما هو نتاج ذلك التعاون الإنساني في تحقيق متطلبات الوجود البشري من المعرفة ونواتجها، وهو الأمر الذي يجسده كل من: ابن خلدون، أوجست كونت، دوركايم.... وغيرهم من بناء علم الاجتماع المعاصر.

### المبحث الأول: التعريف بعلم الاجتماع وموضوعاته:

#### أولاً: علم الاجتماع، النشأة و الرواد

#### 1- إسهامات الرواد في تأسيس علم الاجتماع:

أ- ابن خلدون: "عبد الرحمان بن خلدون" (1332-1406م) عرض دراساته العلمية الاجتماعية لحقيقة المجتمع الإنساني وطبيعة الإنسان، فقد تميز بالملاحظة التي تستمد علميتها من قيامها بجمع المادة الأولية لموضوع البحث من المشاهدات ومن بطون التاريخ. وكان "ابن خلدون" لا يصدق الأخبار إلا إذا وجد لها تعديلا عقليا كافيا، ووجد أن المجتمعات البدائية تنقسم إلى بدو وحضر إذ يتسم البدو (الريف) بالعصبية وكثافة سكانية ضعيفة وبقوة تماسك أعضائها، أما الحضرة فيتميز بكثافة سكانية عالية وتقسيم العمل والمستوى المعيشي العالي والتقدم العلمي والثقافي، وتكوين علاقات التماسك فيه ضعيفة قياسا بالمجتمع الريفي<sup>2</sup>، فعلم الاجتماع حسبه يتحدد بما هو ضروري وما هو اجتماعي يقرر ابن خلدون القواعد المنهجية التي يجب استخدامها في دراسة المجتمع وهي على النحو التالي:

1 علي غربي، علم الاجتماع و الثنائيات النظرية، مخبر علم الاجتماع الاتصال للبحث والترجمة، الجزائر، 2007 ص30.

2 غريب عبد السميع غريب، مرجع سابق ذكره، ص 29.

\* تجرد نفس الباحث من الهوى وعدم الثقة بالناقلين بما يكتبون وعدم التسليم بها تسليماً مطلقاً.

\* الإمام بالعلوم الطبيعية وقوانينها واستبعاد كل ما يتنافى مع هذه القوانين.

\* دراسة الظواهر دراسة تحليلية تهدف إلى الكشف عن طبيعتها والوصول إلى القوانين التي تحكمها.

\* ملاحظة الظواهر ملاحظة مباشرة من أجل الاستقراء.

\* تعقب الظاهرة الواحدة في تاريخ المجتمع الواحد في مختلف الفترات التاريخية مع تحري صدق الروايات.

\* مقارنة الظاهرة بغيرها من الظواهر المرتبطة بها في نفس المجتمع وفي غيرها من المجتمعات. فكما تختلف الظواهر الاجتماعية في المجتمع الواحد فإنها تختلف كذلك بين مجتمع و آخر.

\* الاهتمام بدراسة الجوانب الديناميكية (التطورية) للظواهر الاجتماعية إلى جانب العناية بالجوانب (الإستاتيكية).

\* استخدام منطق التعليل للوصول إلى القوانين العامة التي تحكم هذه الظواهر<sup>1</sup>.

ويؤكد ابن خلدون على أهمية وصول علم العمران إلى صوغ قوانين تحكم العمران لأن الوصول إلى هذه القوانين وظيفية من وظائف العلم وفي هذا المعنى يرى أن الظواهر العمرانية لا تشذ عن بقية ظواهر الكون وأنها محكومة في مختلف نواحيها بقوانين طبيعية تشبه القوانين التي تحكم ما عداها من ظواهر الكون كظواهر العدد والفلك والطبيعة والكيمياء<sup>2</sup>.

وقد اعتمد ابن خلدون على المنهج العلمي الذي مكنه من ربط العمليات والظواهر بعضها ببعض، وتفسيرها بعضها ببعض فتوصل إلى قوانين أصلية ونظريات مبتكرة عن المعاشرة بين بني الإنسان في العمران البشري ونجد عند ابن خلدون التشخيص المادي أي الوضعية عند أوغست كونت ويقول ابن خلدون (أن النظر الذي يفيد تمييز الحق من الباطل إنما هو للذهن في المعاني المنتزعة من الموجودات الشخصية) ولاحظ ابن خلدون

1 عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، مكتبة وهبة، ط7، 1980، ص74، 75.

2 عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، عالم المعرفة، العدد 44، أغسطس، 1981، ص 77 -

الظواهر الاجتماعية ملاحظة حسية وكان يعقد مقارنات بين الظواهر في مراحل تاريخية مختلفة وبذلك أمكنه تطبيق ما استقرأه من قوانين ونظريات من سير الأحداث في الماضي على ما يعاينه في أوانه فاستطاع أن يتصرف التصرف السليم وأن يعطي الرأي السديد كما تمكن من التنبؤ الاجتماعي بأكبر قدر من الصحة.

ولا ينصح ابن خلدون أن ينظر الباحث فيما في ذهنه من مقولات اجتماعية سابقة، أو أن يأخذ بتصوراته الشخصية عن الظواهر الاجتماعية، وإنما يوجه انتباهه إلى النظر خارج نفسه إلى ألون المعاشرة في الاجتماع البشري الذي هو العمران البشري أي إلى الظواهر الاجتماعية على أنها أشياء خارجة عن مخزون ذهنه.<sup>1</sup>

لكن ابن خلدون توقف عند هذا الحد ليغلف أفكاره العلمية مضمون إيديولوجي محافظ فقد نظر إلى السلطة السياسية بوصفها غاية الغايات ونهاية المطاف وبرر الأوضاع والفوارق الطبقيّة وعدها أمراً طبيعياً محتوماً، وفي هذا يقول (إن الجاه متوزع في الناس ومترتب فيهم طبقة بعد طبقة ينتهي في العلو إلى الملوك الذين ليس فوقهم يد عالية، وفي الأسفل إلى من لا يملك خيراً ولا نفعاً بين أبناء جنسه، وبين ذلك طبقات متعددة. فقد تبين أن الجاه هو القدرة الحاملة للبشر على التصرف فيمن تحت أيديهم من أبناء جنسهم بالإذن والمنع والتسلط بالقهر والغلبة ليحملهم على دفع مضارهم).

أي أنه كان في بحثه ساعياً إلى تدعيم النظام القائم وتبريره، مؤيداً الفوارق بين الناس لأمر ليست بأيديهم، ومطالباً الناس بالطاعة (الناس على دين ملوكهم) ومبرزاً لأهمية القهر والحكم الفردي والطغيان. ولولا وقوعه في هذا المأزق لكان علم الاجتماع لديه أكثر اكتمالاً علمياً واجتماعياً.<sup>2</sup>

ب- "أوغست كونت" Auguste comte (1798-1857): يعد "كونت" المسؤول الأول عن مصطلح علم الاجتماع، مع أنه لم يطلق هذا الاسم على علمه الجديد الذي اقترحه ولكنه اختار في البداية أن يسميه "الفيزياء الاجتماعية" لكن أدولف كيتيليه QUETELET سبقه إلى تبني هذا المصطلح ( الفيزياء الاجتماعية) للدلالة على الدراسة الإحصائية للجماعات

1 حسن الساعاتي، تصميم البحوث الاجتماعية، نسق منهجي جديد، دار النهضة العربية، بيروت، 1982، ص ص 12-

13.

2 عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ص 75-85.

البشرية<sup>1</sup>، وأكد ضرورة بناء النظريات العلمية المبنية على الملاحظة والتجربة بالاعتماد على منطق المقارنة بين الظواهر والمجتمعات، وتعد الملاحظة عند "كونت" أكثر أهمية ودقة لأنها أكثر اتساقاً مع الفهم العلمي، والقصد من كل ذلك تحقيق شعار الوضعية التي ترى غاية علم الاجتماع هي إصلاح المجتمع.

يرى "كونت" أن علم الاجتماع مقسم إلى قسمين هما: الإستاتيكا الاجتماعية والديناميكا الاجتماعية.<sup>2</sup>

وضع أوغست كونت الأسس المنهجية للعلم الجديد والإطار المنهجي لعلم الاجتماع يستند أساساً إلى الفكرة التي مؤداها أن المفهومات مشتقة من الواقع وأن الظواهر خاضعة لقوانين عامة، والمعرفة الوضعية تستمد عن طريق عدد من المصادر والإجراءات هي (الملاحظة، التجربة، المقارنة، المنهج التاريخي)<sup>3</sup>.

وقد دعا كونت إلى استخدام المنهج الوضعي في الدراسات الاجتماعية، ولذا فهو يهدف من وراء هذا المنهج إلى دراسة الظواهر الاجتماعية دراسة وضعية تحليلية منظمة لمعرفة ما تخضع له من قوانين وفهم الظواهر الاجتماعية على الطريقة الوضعية لابد من توافر شرطين:

- أن تكون الظواهر خاضعة لقوانين عامة، ولا تسير حسب الأهواء والمصادفات، وقد رأى كونت أن هذا الشرط متوافر تماماً في الظواهر الاجتماعية لأنها جزء من ظواهر الحياة. وجميع ظواهر الكون يسير وفق قوانين لا وفق الأهواء والمصادفات.
- معرفة الناس لهذه القوانين وذلك لن يكون إلا بقيام الباحثين بالكشف عنها وتعريف الناس بها، فالظواهر الاجتماعية عند كونت خاضعة لقوانين طبيعية لا تتغير، ومهمتنا هي السعي نحو كشف هذه القوانين بدقة بغية اختصارها في أقل عدد ممكن، وإذا كان التأمل النظري لهذه العلة لا يفضي إلى حل أي مشكلة علمية فمهمتنا يجب أن تتركز في أن نحلل بدقة ظروف الظواهر لنجمع بينها عن طريق علاقات التشابه والتعاقب<sup>4</sup>.

1 فيليب كابان وجان فرنسوا دورنتيه، ترجمة: إياس حسن، علم الاجتماع، من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية، دار الفرق للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، 2010، ص ص 21-22.

2 هشام يعقوب مريزيق، المدخل إلى علم الاجتماع، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان، 2008 ص ص 70-74.

3 محمد علي محمد، علم الاجتماع والمنهج العلمي، دار المعرفة، الإسكندرية، القاهرة، 1983، ص 45.

4 عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، مرجع سابق، ص 80.

إلا أن كونت أدرك أن القوانين الاجتماعية تقل في شدتها وصمودها عن قوانين العلوم البيولوجية التي تقل شدة دورها عن قوانين العلوم الطبيعية وهو يذهب إلى أنه كلما زادت الظواهر تعقيداً كثرت وتعددت الأساليب المنهجية التي يمكن استخدامها في دراستها وهنا يصبح لعلم الاجتماع أساليبه الخاصة به، بالإضافة إلى الأساليب المستخدمة في العلوم الطبيعية، وأهم ما يميز المنهج العلمي عند كونت هو تبعية الخيال للملاحظة وتبعية العقل للوقائع<sup>1</sup>.

وهذا تأكيد لوحدة المنهج العلمي أي أن المنهج المستخدم في معالجة الظواهر الطبيعية هو نفسه المستخدم في معالجة الظواهر الاجتماعية وأن اختلفت هذه الظواهر في تعقدتها وفي عدد الأساليب المستخدمة في دراستها إلا أنها جميعاً خاضعة لمنهج واحد.

ويرى أوغست كونت أن التفكير الوضعي كلما تقدم خسرت الفكرة اللاهوتية والميتافيزيقية عن العالم جزءاً من مجال نفوذها، فكلما تقدم الإنسان في الدراسة الوضعية للظواهر ترك بالتدريج الظواهر اللاهوتية والميتافيزيقية، مع أن العقل ما كان يستطيع تزويد الإنسان إلا في وقت متأخر جداً بمعرفة شديدة التواضع ونسبية جداً.

والعلم الوضعي عند كونت يتصور الظواهر كلما لو كانت خاضعة لقوانين ثابتة ولذلك فهو يحاول الكشف عن النظام في العلاقات المطردة بين الظواهر وعندما يكون هذا النظام منسجماً أي عندما يتصور المرء أن مختلف الظواهر متجانسة وأنها تخضع على نمط واحد لبعض القوانين (فإن الوحدة التلقائية لعقلنا تزداد قوة على قوة)<sup>2</sup>.

ويرى كونت أنه لكي يكون علماً الوضعي الخاص بأي جزء من الطبيعة علماً مطلقاً ينبغي أن يكون تاماً لكن لما كانت جميع الأشياء مسببة ومسببة ومساعدة ومساعدة على حد تعبير (باسكال) ولما كانت جميعها يؤثر بعضها في بعض تأثيراً عاماً متبادلاً، ولما كانت جميع القوانين نسبية إلى بعض فلن يكون علماً كاملاً مطلقاً في أية مسألة ولن يزودنا هذا العلم إلا بحقائق تقريبية بعضها يختلف نقصها قلة وكثرة، إذ يمكن الكشف دائماً عن بعض الظواهر والقوانين الجديدة، وكم من مرة وجد العلم الوضعي نفسه

1 نيقولا تيماشيف، ترجمة محمود عودة وآخرين، نظرية علم الاجتماع: طبيعتها وتطورها، دار المعارف، 1982، ص 57.

2 ليفي بريل، فلسفة أوغست كونت، ترجمة محمود قاسم، مكتبة النهضة المصرية، 1950، ص 44، 45.

مضطراً إلى تعديل وتنسيق مجموعة من الآراء المكتسبة منذ زمن بعيد حتى يفسح مجالاً لبعض العناصر الجديدة، أي أن كونت يقرر نسبية العلم.

كما أن كونت يقرر مبدأ الحتمية بقوله أن جميع الظواهر سواء أكانت عضوية أم غير عضوية، طبيعية أم خلقية فردية أو اجتماعية، تخضع على نحو مستمر لقوانين لا تقبل التغيير مطلقاً وهذه القوانين تفضي إلى وجود النظام والانسجام بين مختلف الطوائف وربما استطاع العقل الإنساني الذي سبق أن انتهى إلى وحدة المنهج أن يصل عن طريق التعميم إلى وحدة خاصة في المعرفة استطاع كونت تأكيده على الحتمية وعلى نسبية القوانين والكشف عن العلاقات العلية أو باختصار تطبيق المنهج العلمي على دراسة الظواهر الاجتماعية أن يصل إلى وحدة المنهج العلمي وهو يقول أن هذه الوحدة هي أساس لوحدة معرفية، فوحدة المنهج يلزم عنها وحدة المعرفة.<sup>1</sup>

وتصبح المهمة الأساسية لعلم الاجتماع عنده هي الدفاع عن النظام الوضعي الجديد الذي يعكس مظاهر التقدم من ناحية ووحدة العصور الوسطى وتماسكها الأخلاقي من خلال الفلسفة الوضعية، ودافع عن النظام البرجوازي الجديد وقال أن التقدم التاريخي قد وقف عند المجتمع الوضعي الصناعي البرجوازي فهو عنده إذن مجتمع حقيقي طبيعي وليس مرحلة من مراحل التطور الاجتماعي.<sup>2</sup>

### ج- إميل دور كايم: (1858-1917) Emil Durkheim

يعتبر إميل دوركايم زعيم المدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع التي أثرت كثيراً في توجيه البحوث الاجتماعية.

وبالنسبة له "ليست الإثنوغرافيا أو الاقتصاد أو الجغرافيا أو التاريخ أو الديموغرافيا سوى جوانب خاصة للعلم الاجتماعي يجب توحيدها"<sup>3</sup>، فالسوسيولوجيا حسبه هي العلم

1 المرجع نفسه، ص 44، 45.

لمزيد من التفاصيل انظر:

لوسيان جولدمان، ترجمة يوسف الأنطاكي، العلوم الإنسانية والفلسفة، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، 1995.

2 محمود عوده، تاريخ علم الاجتماع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1982، ص 70.

3 فيليب كابان وجان فرنسوا دورتييه، مرجع سبق ذكره، ص 55

الذي يجمع ويوحد باقي العلوم الاجتماعية، فالسوسيولوجيا شاملة وقد حدد دوركايم مجالها في ثلاث نقاط هي:

- مورفولوجيا اجتماعية: وتهتم بالتوزيع الجغرافي للسكان وعلاقاتهم الاجتماعية وحجمهم وكثافتهم.
- فيزيولوجيا اجتماعية: و التي تهتم بدراسة مختلف جوانب الحياة الاجتماعية كالدين، والأخلاق، والقانون والاقتصاد والفن وغيرها.
- سوسيولوجيا عامة: و هي الهدف الفلسفي للعلم، والتوليف الكبير لتاريخ المجتمعات البشرية<sup>1</sup>.

وقد طلب دوركايم تطبيق قواعد المنهج الاستقرائي في الدراسات الاجتماعية ووضع قواعد خاصة بملاحظة الظواهر أهمها:

- يجب ملاحظة الظواهر الاجتماعية على أنها أشياء وذلك بالتخلص من طريقة المعاني الشائعة والأفكار غير الممحصنة لأن المعاني لا تقوم بحال من الأحوال مقام الأشياء نفسها، فعلى الباحث أن ينظر إلى الظواهر الاجتماعية على أنها أشياء خارجية منفصلة عن شعوره الداخلي في ضوء هذا الاعتبار تتحقق موضوعية الظاهرة وشخصيتها العلمية.

- يجب على الباحث أن يتحرر من كل فكرة سابقة على الظاهرة التي يدرسها. ويرى دوركايم أن هذه القاعدة أساس لكل طريقة علمية، وطريقة الشك المنهجي لدى ديكارت لم تكن إلا إحدى التطبيقات الفرعية على هذه القاعدة وكذلك كانت نظرية الأوهام التي أشار إليها فرنسيس بيكون ترمي إلى نفس الغرض، ويرى دوركايم أن من الواجب على الباحث أن يراعي هذه القاعدة سواء كان بصدد تحديد موضوع بحثه أو كان يريد البرهنة على صدق النتائج التي يؤدي إليها هذا البحث.<sup>2</sup>

- من الواجب أن ينحصر موضوع البحث في طائفة من الظواهر التي سبق تعريفها ببعض الخواص الخارجية المشتركة بينها، ومن الواجب أن ينصب البحث على كل الظواهر التي تتوفر فيها شروط ذلك التعريف ومثال ذلك أننا نلاحظ وجود طائفة خاصة

1 المرجع نفسه، ص 55.

2 عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، مرجع سابق، ص 80.

من الأفعال التي تشترك في جميعها الخاصة الخارجية الآتية وهي: أن وقوعها يثير لدى المجتمع رد فعل خاص يسمى العقاب ولذا فإننا ندخل هذه الأفعال في طائفة قائمة بذاتها ونطلق عليها اسماً مشتركاً، فنطلق اسم الجريمة على كل فعل يجلب العقاب على مرتكبه، ثم نجعل الجريمة التي عرفناها على هذا النحو موضوعاً لعلم قائم بنفسه هو علم الجريمة.

يجب على الباحث الاجتماعي لدى شروعه في دراسة طائفة خاصة من الظواهر الاجتماعية، أن يبذل جهده في ملاحظة هذه الظواهر من الناحية التي تبدو فيها مستقلة عن مظاهرها الفردية. وتتص هذه القاعدة على الاعتماد فقط على المدركات الحسية التي تنطوي على الطابع الموضوعي.<sup>1</sup>

فكما أن عالم الطبيعة يستعيز عن الإحساسات الغامضة التي يثيرها لديه الطقس والكهرباء بملاحظته للذبذبات التي يسجلها كل من (الترمومتر) (والإليكترومتر)، فمن الواجب على الباحث الاجتماعي أن يتخذ هذه الحيطة نفسها وأن تكون الخواص الخارجية التي يستعين بها هذا البحث على تحديد بحثه أقرب ما يمكن إلى الواقع، فجوهر منهج دوركايم يوصف بأنه نزعة سوسيولوجية واقعية بمعنى أنه يمنح الجماعة واقعاً اجتماعياً مطلقاً بدلاً من الفرد، ويرجع ذلك إلى أنه يقرر أن الظواهر الاجتماعية لا يمكن إرجاعها إلى ظواهر فردية.

فالظواهر الاجتماعية عنده هي ظواهر ذات طبيعة خاصة ومن ثم ينبغي رفض التفسيرات البيولوجية والسيكولوجية، أي أن المشكلات الإنسانية ينبغي أن يتم تفسيرها في ضوء العوامل الاجتماعية والثقافية لا العوامل البيولوجية والنفسية، لذلك فالظواهر الاجتماعية عند (دوركايم) هي الوقائع الاجتماعية، وهي موضوع البحث الأساسي في علم الاجتماع وهي تتميز عنده بخصائص ومحددات اجتماعية متميزة لا يمكن تفسيرها على المستوى الحيوي أو المستوى النفسي، فهي خارجية تتجاوز في وجودها أي كائن فردي بيولوجي معين، فهي مستمرة عبر الزمن بينما يولد كل يوم أفراد جدد ويموت

1 عبد الباسط محمد حسن، المرجع نفسه، ص 80.

مزيد من التفاصيل انظر:

Sjoberg, Ciden and Nezt, Roger, Amethodology for Social Research, New York, Harper & Row, 1968. (electronic book)



آخرون وهي لا تبدأ ببدايتهم ولا تنتهي بنهايتهم فوجودها إذا مستقل عن وجود الكائنات الفردية المشاركة فيها.

فالظاهرة الاجتماعية يمكن أن نعرفها بأنها أي طريقة في التصرف والسلوك قادرة على ممارسة ضغط خارجي على الفرد بحيث تصبح ملزمة له ويصبح الخروج عليها مقروناً بأشكال الجزاء المختلفة التي تتراوح بين مجرد الاستهجان والاستتكار حتى العقاب البدني<sup>1</sup>.

وبينما أراد دوركايم أن يبدأ وضعياً بدراسة الظواهر الاجتماعية (كأشياء) وبالتركيز على أبعادها الخارجية القابلة للملاحظة لكنه سقط في المثالية لأنه علق كل شيء على القيم والمشاعر ونظراً لصعوبة دراسة هذه الأبعاد وضعياً كأشياء فقد استبدل التحليل السوسيولوجي بالتوجه السيكلوجي الاستبطاني<sup>2</sup>.

وقد وقع في تناقضات فنادى بدراسة الظواهر كأشياء وفي نفس الوقت أنكر أهمية الجوانب المادية والاقتصادية فطالب بإبعاد التفسيرات البيولوجية والنفسية عن الحقل السوسيولوجي ولكنه عقد مماثلات بيولوجية بين الظاهرة المجتمعية والظاهرة الحيوية، وقد أكد على ضرورة إبعاد الفلسفة عن علم الاجتماع ولكنه اهتم بالفلسفة الوضعية التي جعلته يتأرجح بين التصورات المثالية بتركيزه على قضايا الوعي بوصفها الوعي المحدد الأساسي للواقع. كما أكد أهمية البيئة الاجتماعية لشموليتها في تفسير الظواهر الاجتماعية ولكنه رحب بأهمية تخصص فروع علم الاجتماع وهي نزعة تجزيئية تعارض النزعة البنائية الشاملة<sup>3</sup>.

ومع أنه يركز في هذه المرحلة المبكرة من عمله على تعريف الظواهر الاجتماعية بما تتميز به من أسبقية في الوجود على الأفراد بما يمكن أن تمارسه من قهر وإلزام على هؤلاء الأفراد إلا أنه قد اتجه إلى تغيير وجهة نظره فيما بعد، إذ بدأ يتجه في مرحلة نضجه إلى معالجة الظواهر الاجتماعية وبصفة خاصة القواعد الأخلاقية بوصفها موجّهات فعالة وضوابط ضرورية للسلوك ترتبط كفاءتها وفعاليتها بمقدار استدراجها في ضمائر الأفراد ووعيهم.

1 محمود عوده، تاريخ علم الاجتماع، مرجع سابق، ص70.

2 عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، مرجع سابق، ص75.

3 المرجع نفسه، ص80.

فوجود الموضوعي للظاهرة الاجتماعية يعني أن المجتمع والدولة هما الإله الجديد عند دوركايم كما يصبح المجتمع أيضا هو الأساس الأيديولوجي (لواقعيته السوسولوجية المنهجية) بل أن زايثلن يذهب إلى أن دوركايم قد قدم بتأكيديه على هذه الأفكار مذهباً غامضاً مجهلاً يعيد عبادة القيصر من جديد<sup>1</sup>.

وإذا كان دوركايم قد أراد أن يوطد دعائم الوضعية التي أرساها كونت بتركيزه على الموضوعية والقهر والتحرر من الأفكار السابقة وأن الظواهر الاجتماعية لا يمكن إرجاعها إلى ظواهر فردية وأن ملاحظة الظواهر على أنها أشياء ضرورية وهذا مما لا شك فيه تدعيم للمنهج العلمي في العلوم الاجتماعية إلا أنه مثلما فعل ابن خلدون وكونت قد استخدم هذا المنهج العلمي في تدعيم مضمون أيديولوجي يتلخص في أن الناس سلبيون تماما وتجاوز الحتمية الاجتماعية إلى النزعة القدرية فقدر الإنسان هو الخضوع للنظام الاجتماعي القائم.

#### د- "كارل ماركس" Karl Marx (1818-1883)

ترجع أهمية "ماركس" بالنسبة لنظرية علم الاجتماع في مجموعها إلى محاولة تفسير البناء الاجتماعي والتغيرات التي تطرأ على هذا بواسطة نسق متكامل من الأسباب والنتائج، فقد تأمل حركة التاريخ ورأى فيها عملية تطور مستمر تخضع له الإنسانية، واكتشف أن سبب هذا التطور وما نسميه اليوم **المادية الجدلية**<sup>2</sup>.

وقد جاءت تصورات "ماركس" في ألمانيا عندما شعر بنوع من التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإيديولوجية، والتي لم تشهدها أوروبا من قبل وخاصة ظهور مشكلات العمل والإنتاج نتيجة لظهور المجتمع الصناعي المتميز عن المجتمع الإقطاعي الذي كان سائد خلال العصور الوسطى<sup>3</sup>.

فقد اهتمت كتاباته بدراسة الصراع الطبقي في المجتمع الرأسمالي حيث قسمه إلى طبقتين رئيسيتين. الأولى مستغلة (فاقدة الإنتاج) والثانية مستغلة (مالكة الإنتاج) مستخدمة عدم تكافؤ وتوازن المصادر الاقتصادية داخل المجتمع سببا رئيسا لتغيير هذا النوع من

1 محمود عوده، تاريخ علم الاجتماع، مرجع سابق، ص 76.

2 غريب عبد السميع غريب، مرجع سابق ذكره، ص 29

3 محمد إبراهيم عبد المجيد، علم الاجتماع، (النشأة والتطور، المشكلات الاجتماعية)، مؤسسة رؤية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، المعمورة، مصر 2007، ص 13.

الصراع كما استخدم أيضا مفهوم قوى الإنتاج ( والآلات والتقنيات) التي تطورت بشكل هائل واستخدمت أيضا مفهوم علاقات الإنتاج (علاقة العامل بالمنتج) التي بقيت ثابتة دون تغيير لتفسير البناء الاجتماعي للمجتمع الرأسمالي أثرت هذه الكتابات على كثير من علماء الاجتماع الذين ظهروا بعد الحرب العالمية الثانية أمثال العالم البريطاني توماس بوتومور والعالم الألماني رالف دارندورف.

هـ - "ماكس فيبر" Max weber (1864-1920):

جاءت تصورات "فيبر" في فترة زمنية تكاد تكون معاصرة ولاحقة بعد ذلك لكتابات "ماركس"، والتي وضح فيها كيفية اختلافه مع الكثير من القضايا التي يطرحها هذا الأخير وخاصة قضايا مثل: الدين والصراع الطبقي والاعتراب والأيدولوجية، وهذا الاختلاف يأتي نتيجة توسع "فيبر" لدراسة الأديان السماوية والأرضية في نفس الوقت وتأكيد على أهمية الدين في دراسة وتفسير الظواهر والحياة الاجتماعية المختلفة.<sup>1</sup>

و - تالكوت بارسونز: Talcott Parsons (1902 - 1979)

يقول (غي روشيه) أن بارسونز رأى أن أية معرفة لكي توصف بأنها معرفة علمية فلا بد أن يعتمد صدقها على كونها معرفة تم تكوينها طبقاً لقوانين المنهج العلمي. ولقد تم صياغة هذه القوانين بدقة خلال القرون القليلة الماضية. وأصبح من المؤكد الآن أن هذه القوانين فقط هي القادرة على صياغة معرفة حقيقية عن الواقع، معرفة تبرهن صدقها الذاتي من خلال ما يتوفر فيها من الضبط والتنبؤ، لقد اعتقد بارسونز اعتقاداً صارماً أن علم الاجتماع يجب أن يبني من خلال التطبيق الدقيق لهذه القوانين وهذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكن من خلالها أن يكتسب صفة العلم.

وعارض بارسونز بشدة تيارين من تيارات الفكر انحدر إلينا من القرن التاسع عشر وهما: المذهب التاريخي Historicism - المذهب السلوكي Behaviorism حيث اعتقد أن كلا المذهبين قد عطل التقدم العلمي لعلم الاجتماع. فالمدرسة التاريخية التي ظهرت بقوة في ألمانيا تعتبر أنه من غير الممكن وجود علوم اجتماعية لأن التاريخ البشري يتكون من أحداث فريدة متتابعة وليست متكررة، وأن كل حضارة تمثل وحدة في ذاتها ولا يمكن اختزالها إلى أي شيء آخر وهي فريدة في بنائها وروحها وتاريخها، وبناء

1 محمد إبراهيم عبد المجيد، مرجع سبق ذكره، ص 14

على ذلك يصبح التاريخ وحدة هو العلم الاجتماعي، ويكون هدفه هو الربط بين هذه الأحداث الفريدة وتفسيرها، دون استخلاص أي تعميمات يمكن ان تصبح قانوناً أو نظرية عامة، وربما يكون بارسونز هو أكثر علماء الاجتماع الذين عبروا عن معارضتهم الشديدة للمذهب التاريخي الاجتماعي هذا من ناحية ومن الناحية الأخرى فقد كان أكثر العلماء الذين عبروا عن المتطلبات النظرية التي يجب أن تتوفر لكي تصبح العلوم الاجتماعية علوماً بكل ما تعنيه الكلمة من معنى.<sup>1</sup>

ولهذا فإن بارسونز لا يرى أن هناك فرقاً بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية فعلى كل منهما تنطبق نفس قواعد المنهج العلمي ذلك لأنهما يعتمدان على نفس الأسس الأبيستولوجية.

ز- هربرت سبنسر "Herbert Spencer (1820-1930): اعتمد "سبنسر" على المماثلات والتشبيهات وخاصة المماثلات بين المجتمع والكائن العضوي، ثم المماثلة بين التطور الاجتماعي و التطور بيولوجي، فالمجتمع في نظره مثل الكائن الحي المعقد يتصف بحالة من التوازن الدقيق، من أهم مؤلفاته: أسس علم الحياة، أسس علم النفس، أسس علم الاجتماع، أسس الأخلاق، بالإضافة إلى عدد كبير من المقالات و المؤلفات الأخرى.<sup>2</sup>

## 2- تعريف علم الاجتماع:

اختلف العلماء حول التعريف بعلم الاجتماع وتحديد مفهوم له وفي هذا الصدد نحاول التعرض إلى بعض التعاريف والمعاني التي أعطيت لعلم الاجتماع وهذا للتحكم في الموضوع أكثر:

أول من استعمل اصطلاح "سوسيولوجيا" (علم الاجتماع) Sociologie هو العالم الفرنسي "أوغست كونت" Auguste comte في عام 1838 من مصطلح Socius التي تعني باللاتينية (رفيق أو شريك)، والكلمة اليونانية Logia بمعنى (دراسة أو خطاب) فقد أراد "كونت" توحيد كل الدراسات البشرية بما في ذلك التاريخ وعلم النفس والاقتصاد.<sup>3</sup>

1 غي روشيه، علم الاجتماع الأمريكي، مرجع سابق، ص 53.

2 هشام يعقوب مريزيق، مرجع سبق ذكره، ص 70

3 المرجع نفسه، ص 20

غير أن الفيلسوف الإنجليزي "جون ستيوارت ميل" John Stuart Mill استعمل هذا الاصطلاح في كتابه مسمى "علم المنطق" الذي نشره في علم 1843، وكان يقصد هذان العالمان "كونت" و"ميل" بهذا الاصطلاح: «الحقيقة و المنهج الذي يجب أن يتبعه علم دراسة المجتمع ليكون مطابقا للعلوم الطبيعية من ناحية طرقه المنهجية وحقائقه النظامية المترابطة، وكذا تحرره من العواطف والنزاعات النفسية والأحكام القيمية»<sup>1</sup>.

وعرف "أوجبرن" Ogburn "ونيمكوف" Nimkoff علم الاجتماع بأنه: «الدراسة العلمية للحياة الاجتماعية حيث أن الحياة الاجتماعية تقوم على التفاعل، والتفاعل يؤدي إلى التنظيم الاجتماعي الذي يؤدي بدوره إلى خلق أشياء كثيرة كالمباني والموسيقى والأخلاق والآلات -أي خلق الثقافة-» وعلم الاجتماع في نظرهم العلم الذي ينبغي أن يعالج الخصائص المشتركة بين الجماعات والمجتمعات المختلفة وبدورها تكون موضوعا صالحا لعلم الاجتماع.

ويرى "روبرت ماكيفر" Robert Mac Ivre أن علم الاجتماع يعني: «العلاقات الاجتماعية»<sup>2</sup>

كما يركز "بارنز" Bernez على العلاقات الاجتماعية Social Relation باعتبارها العنصر الذي تتكون منه الحياة الاجتماعية بصفة أساسية، حيث يرى علم الاجتماع عبارة عن: «الدراسة العلمية للسلوك الجماعي، أي دراسة العلاقات بين الأفراد والعوامل في تؤدي إليها وما ينشأ عنها من آثار على أساس أن كل فرد يتصل بغيره ويتفاعل معه»<sup>3</sup>.

أما "هربرت سبنسر" H.Spencer فيرى أن تحديد علم الاجتماع بأنه: «العلم الذي يصف ويفسر نشأة وتطوير النظم الاجتماعية مثل: الأسرة، الضبط الاجتماعي والعلاقات بين النظم»، بينما "أوجست كونت" A. Comte لم يضع تعريفا محددًا لعلم الاجتماع بقدر ما أكد على أهمية وجود هذا العلم ليدرس كل الظواهر التي تدرسها العلوم التي سبقت على ظهور علم الاجتماع، و "تالكوت بارسونز" فيتصور أن مهمة علم الاجتماع تتركز في «دراسة

1 جمال معتوق، علم الاجتماع في الجزائر من النشأة إلى يومنا هذا، ط1، 2006، ص 11.

2 المرجع نفسه، ص 12.

3 غريب عبد السميع غريب، مرجع سبق ذكره، ص 11.

الأنساق الاجتماعية» وفي ضوء تعريفه وضع نظرية مميزة عن الأنساق الاجتماعية والتي ارتبطت بتحليلات البنائية الوظيفية عامة.<sup>1</sup>

كما يعرف كل من "روبينسون" L.Robinson و"كريستوف" W.Christof بأنه: «العلم الذي يدرس الجماعات والعمليات الاجتماعية لهذه الجماعات والإنسان بوصفه عضواً في جماعة، وذلك بهدف تحسين أحوال الجماعات»<sup>2</sup>.

ويذكر "تيماشيف" Timasheff تعريف علم الاجتماع بأنه علم المجتمع، بينما ينبغي تعريف المجتمع بواسطة علم الاجتماع حيث أننا نكاد ندور في حلقة مفرغة، وعليه يمكن تعريف المجتمع بأنه: « بنو الإنسان في وجودهم الذي يقوم على الاعتماد المتبادل».

علم الاجتماع هو أحد فروع علم السلوك الإنساني التي تحاول اكتشاف العلة والمعلول في العلاقات الاجتماعية بين الأفراد. فهو يتناول دراسة العادات والأعراف، والتركيبات والمؤسسات الاجتماعية الناشئة من التفاعل بين الناس، ويحاول دراسة القوى التي تستطيع أن تكتنف تلك العادات والأعراف والمؤسسات الاجتماعية أو تضعفها<sup>3</sup> وبكلمة، فإن علم الاجتماع يدرس الطبيعة الإنسانية للمجتمع وأساليب الحفاظ على تركيبته الثقافية والسياسية، باعتبار أن أهم ما يميز السلوك الإنساني عن سلوك بقية الكائنات هو طبيعته الاجتماعية، ولا شك أن تنظيم المؤسسات الاجتماعية يلعب دوراً رئيسياً في صياغة شكل أفعال الإنسان على ساحة المجتمع.

كما يجدر الإشارة إلى الدور الأسبق الذي قام به "عبد الرحمان ابن خلدون" في كتابه (المقدمة) حيث نجده قد سبق إلى تحديد موضوع وتعريف علم الاجتماع العلم الذي أطلق عليه تسمية (علم العمران البشري)<sup>4</sup> أو الاجتماع الإنساني وما يلحقه به من أحوال ومقتضيات بما فيها من ظروف بيئية واقتصادية وسياسية واجتماعية ونفسية.

نستنتج من هذين التعريفين الأخيرين اتفاق كل من "تيماشيف" و"ابن خلدون" في موضوع علم الاجتماع، خلاف أغلبية الباحثين الغربيين الذين أهملوا معنى الاجتماع والعمران عند تعريفهم هذا العلم، فقد ركزوا فقط على كونه علماً يدرس المجتمع أو الظواهر الاجتماعية.

1 محمد إبراهيم عبد المجيد، مرجع سبق ذكره، ص 19/18

2 جمال معتوق، مرجع سبق ذكره، ص 13

3 <http://ebthalmohamed.jeeran.com/archive/2007/5/228307.html>، le: 21/05/2007، à 15H30.

4 جمال معتوق، مرجع سبق ذكره، ص 16.

ثانياً: أهمية وأهداف علم الاجتماع:

### 1- أهداف علم الاجتماع:

1- يحاول توضيح أجزاء البناء الاجتماعي وتحليل عناصرها ومركباتها (يتميز بجمع العلاقات التي يتكون منها الأفراد والجماعات) فالمؤسسات الدينية والاقتصادية والأسرية والسياسية والتربوية هي مؤسسات مترابطة ومتكاملة وأي تغيير يطرأ على إحداها لابد أن يترك آثاره وانعكاساته على بقية المؤسسات الأخرى، وهنا يحدث ما يسمى بالتحول الاجتماعي.

2- يهدف علم الاجتماع أيضاً لوضع مورفولوجية\* خاصة بالعلاقات الاجتماعية تأخذ على عاتقها تصنيف العلاقات إلى أنواع مختلفة وإدخالها في كافة منظمات المجتمع والهدف من هذه المورفولوجية تحويل العلاقات الإنسانية من علاقات سلبية وعدائية إلى علاقات إيجابية تعاونية.

3- يهدف إلى دراسة أنماط السلوك الاجتماعي ودوافعه وآثاره على الجماعة.

4- يحاول علم الاجتماع الحديث معرفة قوانين السكون والديناميكية أو التحول الاجتماعي.

5- يتوخى علم الاجتماع تشخيص المشكلات الاجتماعية التي تعاني منها المجتمعات، ومعرفة أسبابها الموضوعية والذاتية وآثارها القريبة والبعيدة وطرق مجابته والتصدي لانعكاساتها الهدامة.

6- ربط المؤسسات والنظم الاجتماعية من حيث نشوئها وتطورها بالمجتمع التي توجد فيه وتتفاعل معه.

7- دراسة طبيعة وأسباب ونتائج الظواهر الاجتماعية المعقدة دراسة اجتماعية تحليلية ونقدية.<sup>1</sup>

### 2- أهمية علم الاجتماع:

الحاجة إلى علم الاجتماع حاجة ملحة ففي كل منشأة لا بد من وجود متخصص في علم الاجتماع ينمي العلاقات الاجتماعية ويحافظ عليها و يتعرف على ما يعانيه المنتمون إليها ويحل مشكلاتهم ويجعل من بيئة العمل بيئة تشعر بالولاء لبيئة العمل، وتضحى من أجله، وتسخر قدراتها الإبداعية من أجل تطويره، لا بد لكل مائة طالب في أي مدرسة من مشرف

\* **مورفولوجية:** كل ما يشمل موضوعات مثل دراسة جغرافية للبيئة وسكانها وعلاقتهم بالتنظيم الاجتماعي و توزيعهم على سطح الأرض.

1 إحصان محمد الحسن، **المدخل إلى علم الاجتماع**، دار وائل للنشر، عمان، ط1، 2005، ص 31.30.

اجتماعي يتابع الطالب ويوجهه ويكتشف مواهبه ويشجعه، وينطلق به إلى عالم أرحب، وبخاصة في عصر أصبح المنزل عبارة عن فندق صغير لا يعرف النزلاء فيه مواعيد الآخرين ولا يتلقون إلا نادراً، وفي ظل انشغال رب الأسرة بأعماله وارتباطاته ورب البيت والأخوة والأخوات فيقوم المشرف الاجتماعي بوظائف كانت تقوم بها الأسرة الخ هذه الحاجات، ولكن يأتي من يقول هل توجد وظيفة مدرجة في ميزانية تلك المؤسسات الحكومية أو الأهلية أم لا فإن وجدت الوظيفة فهناك حاجة وإن لم توجد الوظيفة فليس هناك حاجة إذا تلغى الأقسام بغض النظر عن الحاجة الفعلية، بغض النظر عن التغيرات الهائلة في المجتمع التي تحتاج بكل جدية لمن يتعامل معها بعلم وثقة ومنهجية.

### ثالثاً: المفاهيم الأساسية لعلم الاجتماع:

**1- المجتمع:** تشير الدراسات في علم الاجتماع بأن المجتمع مجموعة من الجماعات ترتبط بخصائص الوحدة المتمثلة باللغة والعادات والتقاليد، كما يرى "ابن خلدون" أن المجتمع هو الذي يشكل الحضارة والمدينة وهذا ما ذكره في مقدمته، كما أن الإنسان مدني بطبعة فهو كائن اجتماعي يشعر بالحاجة إلى سواه من الناس لكي يتعامل معهم وإعطائهم والأخذ منهم، كما يرى أن الفرد دائماً بحاجة إلى بني جنسه لإشباع حاجته الأساسية والقانونية.

أما المجتمع في نظر "أوجست كونت" Auguste Comte يتكون من عنصرين هامين هما: الإستاتيكا الاجتماعية(البناء)-الديناميكا الاجتماعية(التفاعل)، وقد عرفه بأنه: «عبارة عن مجموعة من الأفراد ينشأ بينهم نظام تقسيم العمل وتعاون الجميع في سبيل تحقيق أهداف مشتركة دون إغفال السعي وراء بعض الأغراض الفردية»<sup>1</sup>.

ويقول "أرنولد جرين" أن المجتمع «هو أكبر جماعة ينتمي إليها الفرد ويتكون من السكان والتنظيم والزمن والمكان والمصالح»<sup>2</sup>.

فالمجتمع نسق اجتماعي يشكل أعضاؤه جماعة وطنية مستقلة بوطنها ذات ثقافة جامعة عاشوا معاً مدة تكفي لأن ينتظموا وأن يعتبروا أنفسهم وحدة اجتماعية ذات حدود واضحة المعالم.

1 نبيل عبد الهادي، علم الاجتماع التربوي، اليازوري للنشر و التوزيع، عمان، بدون سنة، ص 74-75.

2 محمد عاطف غيث، التطبيقات في علم الاجتماع، دار الكتب الجامعية، مصر، 1970، ص 02-05.



2- **الجماعة (communité):** جاء الاستخدام الابتدائي لمفهوم الجماعة ضمن علم الاجتماع مرتبطاً بمخاوف المؤسسين لهذا العلم الذي سعوا إلى فهم وشرح التحولات الاجتماعية والاقتصادية للرأسمالية الصناعية في القرن 19.

ولقد تمت عدة دراسات حول مفهوم الجماعة من قبل علماء الاجتماع ومنهم "فرديناند تونيس" Ferdinand Tonis الذي كانت آراءه صدى للمخاوف الشائعة إلى أن التحديث Modernisation نجم عنه خسارة الجماعة والتضامن المحلي، وكذلك نجد مدرسة شيكاغو للتحضر التي اتسم بها عقد العشرينيات والثلاثينيات وبخاصة من خلال أعمال كتاب مثل: "لويس ويرث" Louis Wirth و"روبرت ريد فيلد" Robert Redfield "إيرنيست بورجيس" Ernest Burgess.... إذ ذهب معظم الباحثين إلى أن عناصر المجتمع يتواصل وجودها في أجزاء معينة من المجتمعات الحديثة وبخاصة في أحياء الطبقة العامة الراسخة والأجيال ذات الهوية العرقية الواضحة، وذلك على الرغم من تغيرات البارزة التي ولدها التحضر في الأنماط الأوسع من التنظيم المجتمعي.<sup>1</sup>

فالجماعة نسق اجتماعي يتكون من مجموعة من الأفراد الذين يتفاعلون معا ويشتركون في نشاط معين أو أكثر، ويقنضي مفهوم الجماعة تماسك أفرادها واتصافهم بخصائص الجماعة.

3- **البناء الاجتماعي:** تشير كلمة "بناء" إلى فعل بناء شيء ما والمنتج النهائي لفعل البناء هذا، كما أشارت الكلمة في الأصل إلى بناء مادي فعلي والتوازن الداخلي للقوى المادية التي تمنحه تماسكا.

واستخدم رواد علم الاجتماع المصطلح للإشارة إلى المجتمعات باعتبارها وحدة تتكون داخليا من مجموعات من الأفراد المكلفة بمهام أو أنشطة خاصة.

ولقد عرف "بارسونز" البناء الاجتماعي باعتباره مجموعة من العلاقات المنمطة الثابتة نسبيا للوحدات، والتي تنتج من التأسيس العرفي للعمل.

وكان تأكيد "بارسونز" الرئيسي على الجوانب المؤسسية للبناء الاجتماعي باعتباره إطاراً أو هيكلًا عظيمًا لأي مجتمع.

1 جون سكوت، مرجع سبق ذكره، ص 159.

ورأى "راد كليف براون" Radcliffe Brown أن البناء الاجتماعي يتكون من شبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية والاتصالات المتبادلة التي تنظم تدفق التفاعلات بين أفراد محددين في أي لحظة محددة.<sup>1</sup>

فالبناء الاجتماعي مجموعة ثابتة نسبياً من العلاقات النموذجية بين الأفراد أي هو نسق من نماذج العلاقات بين الأفراد، على اعتبار أن أي فرد جزء من كل. وهو مجموعة الشرائح الاجتماعية التي تتشكل وفقاً لظروف اجتماعية وسياسية واقتصادية بحيث تشكل الاعتبارات السياسية والاقتصادية القاعدة الأساسية لتشكيل هذه المجتمعات.<sup>2</sup>

**4- التنشئة الاجتماعية Socialisation:** يعرفها الدكتور "حامد زهران" بأنها عملية تعلم وتعليم وتربية، وتقوم على التفاعل الاجتماعي وتهدف إلى اكتساب الفرد سلوكاً ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة تمكنه من مسايرة جماعته والتوافق الاجتماعي معها تكسبه الطابع الاجتماعي وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية.<sup>3</sup>

التنشئة الاجتماعية هي عملية تأهيل الفرد للمساهمة في نشاط الجماعة التي نصوي فيها، وذلك عن طريق تثبيت القيم والرموز وتعلم المعايير والأدوار التي تتوقعها منه الجماعة، ومن الأشكال الأساسية للتنشئة الاجتماعية (الوالدين، الفرد داخل الأسرة، تعليم التلميذ داخل المدرسة، تتلمذ الفرد لاكتساب حرفة أو مهنة... الخ) وهي عملية مستمرة.

**5- النظام الاجتماعي (Social system):** يستخدم مفهوم النظام الاجتماعي بهدف إلقاء الضوء على الاعتماد المتبادل للأفراد في الكل الاجتماعي وامتلاكه للخصائص المتميزة التي يمكن تحليلها بمفاهيمها الخاصة ومن دون تناول مفصل لاتجاهات التصرف الفردية التي تنتجها.<sup>4</sup>

**6- الحراك الاجتماعي:** يمثل الحراك (Mobilité) التعبير المجازي لتنقل الأفراد بين الأمكنة كأداة عامة لفهم بعض خصائص الحياة المجتمعية، والسعي الواضح لإقامة سوسيولوجيات

1 جون سكوت، مرجع سبق ذكره، ص 81.

2 نبيل عبد الهادي، مرجع سبق ذكره، ص 127.

3 جليل وديع شكور، أبحاث في علم النفس الاجتماعي ودينامية الجماعة، دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 1989، ص 81.

4 جون سكوت، مرجع سبق ذكره، ص 138.

تستخدم فكرة البنيان والمراكز الاجتماعية (الأدوار الاجتماعية والمنزلة وسط المجموعات والقرابة والاحتلال والطبقات)<sup>1</sup>.

فالحراك الاجتماعي هي حركة الأفراد والأسر والجماعات من وضع اجتماعي إلى وضع اجتماعي آخر، وقد يكون الحراك جغرافياً كالانتقال من البادية إلى المدينة، وقد يكون أفقياً كالانتقال الفرد من نسق اجتماعي إلى آخر من ذات المستوى، غير أن الحراك العمودي هو أكثر أنماط الحراك الاجتماعي التي يوليها علم الاجتماع عناية وهو عبارة عن اكتساب أو فقدان مكانة اجتماعية.

7- التغير الاجتماعي: هو تغير في البناء الاجتماعي (تغيرات في حجم المجتمع) أو في نظم اجتماعية خاصة أو في العلاقات بين النظم، فهو ظاهرة مستمرة وحتمية.<sup>2</sup>

ويعرف كذلك بأنه كل تغير يطرأ على البناء الاجتماعي في الكل والجزء أو في الشكل أو النظام الاجتماعي، ولهذا فإن الأفراد يمارسون أدوار اجتماعية مختلفة عن تلك التي كانوا يمارسونها خلال حقبة من الزمن.<sup>3</sup>

8- التفاعل الاجتماعي: يعرفه "سوركن" بأنه أي حدث يؤثر به طرف تأثيراً ملموساً في أفعال الآخر الظاهرة أو حالته العقلية الباطنة.<sup>4</sup>

ويعرفه "سوانسون" Swanson-1965 بأنه العملية التي يرتبط بها أعضاء الجماعة في الرغبات والحاجات والوسائل والغايات والمعارف والمصالح.<sup>5</sup>

فالتفاعل الاجتماعي هو العملية التي بمقتضاها يكون الأفراد يتصلون ببعضهم مؤثرين متأثرين ببعضهم البعض سواء على صعيد الأفكار أو الأنشطة، فالتأثير المتبادل هو جوهر عملية التفاعل وقد يستمر التفاعل لحظات أو سنوات (يعتبر البعض التفاعل هو موضوع علم الاجتماع).

1 المرجع نفسه، ص 172.

2 جليل وديع شكور، مرجع سبق ذكره، ص 295.

3 نبيل عبد الهادي، نفس المرجع السابق، ص 140.

4 غريب عبد السميع غريب، مرجع سبق ذكره، ص 47.

5 جليل وديع شكور، مرجع سبق ذكره، ص 189.

9- العمليات الاجتماعية: هي تلك الصورة المتكررة من السلوك الذي يحدث في الحياة الاجتماعية، ويمكن أن تشمل على التعاون والتنافس والصراع كعمليات أساسية وتكيف والتوافق.<sup>1</sup>

### 10- المكانة الاجتماعية: (Statut Social)

تعتبر كلمة المكانة الاجتماعية من المصطلحات واسعة الانتشار وقد تعني موضع الفرد أو مرتبته أو مكانته ضمن الجماعة أو المجتمع الذي ينتمي إليه وقد كان للمكانة الاجتماعية عدة تعاريف؛ فحسب "وارن" (WARREN) «المكانة تشير إلى وضع الفرد أو وظيفته الخاصة في جماعة ما كما يتحدد من خلال اتجاهات أعضاء الجماعة نحوه»<sup>2</sup>.

وحسب "علي عبد الرزاق جلبي" «فالمكانة الاجتماعية هي الوضع الذي يشغله الشخص أو جماعة من الأشخاص داخل مجتمعهم ويحدد هذا الوضع نتيجة لسلسلة من العوامل مثل العمر، الجنس المهنة، الدخل»<sup>3</sup>.

أما بالنسبة لـ"يسري دعبس" «تعبّر المكانة الاجتماعية عن الوضع الذي يشغله الشخص أو الأسرة أو الجماعة القرابية في النسق الاجتماعي بالنسبة للآخرين وقد يحدد هذا الوضع الحقوق و الواجبات وأنواع السلوك الأخرى بما في ذلك طبيعة ومدى العلاقة بأشخاص آخرين لهم مكانات مختلفة»<sup>4</sup>.

ويعرفها "سيد أحمد عثمان على" أنها «وضع في بناء أو تركيب اجتماعي يتحدد اجتماعيا وترتبط به التزامات وواجبات تقابلها حقوق وامتيازات، ولكل فرد عدة مكانات منها مثلا: مكانة السن ومكانة الجنس ومكانة الدين ومكانة القومية... وهكذا»<sup>5</sup>.

ويرى "قباري محمد إسماعيل" أن المكانة الاجتماعية هي: «المرتبة التي يحتلها الإنسان طبقا

1 غريب عبد السميع غريب، نفس المرجع السابق، ص 101.

2. عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في علم النفس الاجتماعي، دار قباء للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، مصر، 1998، ص 226.

3 علي عبد الرزاق جلبي، دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، لبنان، 1984، ص 20.

4يسري دعبس، المشاركة المجتمعية والتنمية المتواصلة، البيطاش سنتر للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 2008، ص 38.

5 سيد أحمد عثمان، علم الاجتماع التربوي، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 2002، ص 35.

لمواصفات خاصة تؤهله لهذه المرتبة».<sup>1</sup>

إذن من خلال التعاريف يمكن القول بأن المكانة الاجتماعية هي: المرتبة والوضع الذي يشغله الفرد داخل جماعة معينة أو موقف مؤسساتي أو اجتماعي وهذا الوضع يمنح الفرد عدة حقوق ويفرض عليه القيام بواجبات وأدوار.

### 11- الدور الاجتماعي (Rôle Social):

يرتبط مصطلح الدور الاجتماعي كثيرا بالمكانة الاجتماعية ولم يكتسب دلالاته الحالية إلا منذ ثلاثينات القرن 20 ويرجع الفضل في ظهوره إلى "رالف لنتون" (RALPH LINTON) عالم الأنثروبولوجيا الثقافية، وصار ابتكاره المصطلحي الأساس الذي بني عليه "تالكوت بارسونز" نموذج التنظيم المعياري للسلوك الاجتماعي الذي شكل أساس علم الاجتماع،<sup>2</sup> ومنه انطلقت دراسات واهتمامات علماء الاجتماع للدور الاجتماعي.

لقد تعددت تعاريف الدور الاجتماعي من طرف عدة علماء ومن أهم هذه التعاريف نجد: حسب "لينتون" (LINTON) الدور الاجتماعي هو «مجموعة الأفعال التي يقوم بها الفرد ليؤكد احتلاله المركز، فالدور يشمل ناحيتين هما السلوك والشخصية» أما بالنسبة "لميريل" فالدور الاجتماعي هو «الجزء الذي ينتظر أن يؤديه في كل سلسلة من المراكز».<sup>3</sup>

أما "سنا الخولي" فتري أن الدور الاجتماعي يشير إلى: «مجموعة من المعايير أو التوقعات التي ترتبط بأوضاع معينة ويشير إلى العلاقة بين ما نعمل نحن و بين ما يفعله الآخرون»<sup>4</sup> أما "حسين عبد الحميد رشوان" فيرى أن الدور الاجتماعي هو: «توقعات الفعل و السلوك الذي يصدر عن الآخرين»<sup>5</sup>

1 قباري محمد إسماعيل، أسس البناء الاجتماعي (دراسة وظيفة تكاملية للنظم الاجتماعية)، منشأة المعارف، الإسكندرية، دون تاريخ، ص 80.

2 جون سكوت، مرجع سبق ذكره، ص 193.

3 حسان هشام، مدخل لعلم الاجتماع التربوي، مطبعة النقطة، ردمك، ط1، 2008، ص 168.

4 سناء الخولي، الأسرة والحياة العائلية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2008، ص 155.

5 حسين عبد الحميد رشوان، الأسرة و المجتمع - دراسة في علم اجتماع الأسرة، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 2003، ص 155.

ويرى "محمد إبراهيم عبد الحميد" أن الدور الاجتماعي هو: «السلوك الذي يتوقع من الفرد في المكان الذي يشغله»<sup>1</sup>

أما "محمد علي محمد" فيرى أن الدور الاجتماعي هو الجانب السلوكي للمكانة الاجتماعية التي يشغلها الفرد في المجتمع إذ يتسم بالدينامية والتعدد<sup>2</sup>

وعليه من خلال هذه التعاريف يمكن لنا أن نعرف الدور الاجتماعي على أنه الفعل والسلوك المتوقع من الفرد عندما يشغل مكانة اجتماعية معينة

ومن بين المفاهيم المرتبطة بالدور الاجتماعي "تناقض الأدوار"، الذي يشير إلى تناقض في التوقعات الدورية سواء كان ذلك ضمن الدور الواحد أو بين الأدوار المتعددة التي يشغلها الفرد الواحد مثل الفرد الذي يشغل دور الأب و الابن معا.<sup>3</sup>

أما المركز الاجتماعي فيرى "لنتون" أن «المركز هو المكان في جهاز ما والذي يشغله فرد معين في وقت معين».

أما "ستيبيوتاني" فيقول أن: «المركز هو موقف الشخص في جماعة، ويكون ثابتاً نسبياً ولا ينخفض أو يرتفع عادة إلا بالتدرج (بطء)»<sup>4</sup>

من خلال التعارف يمكن تعريف المركز الاجتماعي على أنه الوضع الذي يشغله الفرد في مجتمع ما و يرتبط هذا الوضع بالدور الاجتماعي الذي يقوم به هذا الفرد، فالمركز الاجتماعي والدور الاجتماعي مرتبطان ببعضهما البعض.

## 12- الوظيفة والمهنة (Fonction et Métier):

للوظيفة والمهنة علاقة وطيدة بالمكانة الاجتماعية، فاحتلال وظيفة أو مهنة معينة يكسب الفرد مكانة اجتماعية معينة، وكلما احتل الفرد وظيفة أو مهنة جيدة فإنه بالمقابل يكسب مكانة اجتماعية مرموقة وجيدة والعكس.

1 محمد إبراهيم عبد الحميد، علم الاجتماع النشأة و التطور- المشكلات الاجتماعية، مؤسسة رؤية للطباعة و النشر و التوزيع معمورة، ط1، 2007، ص 64.

2 محمد علي محمد، الشباب العربي و التغيير الاجتماعي، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت 1985، ص 44.

3 معن خليل العمر، ثنائيات علم الاجتماع، دار الشروق للنشر و التوزيع، ط1، الأردن، 2001، ص 275.

4 إبراهيم ناصر، علم الاجتماع التربوي، دار الجيل بيروت، لبنان ومكتبة الرائد العلمية عمان، الأردن، دون سنة، ص

أ- **الوظيفة:** تعرف بأنها مجموعة من المهام والواجبات التي يكلف بأدائها شخص واحد، بناءاً على ذلك فإن أي مؤسسة عمل تضم عدداً من الوظائف بقدر عدد العاملين فيها، حيث يكلف كل منهم بمجموعة من المهام بغض النظر عن التشابه أو الاختلاف بين مجموعة المهام التي يكلف بها كل منهم.

ت- **المهنة:** هي مجموعة متشابهة من الأعمال الموجودة في مؤسسات مختلفة في أوقات مختلفة وتعرف كذلك بأنها عبارة عن مفهوم تجريدي يضم مختلف الأعمال المتماثلة التي يقوم بها مختلف العاملين بصرف النظر عن المنظمات التي تمارس فيها هذه الأعمال.<sup>1</sup>

### المبحث الثاني: النظرية الاجتماعية المعاصرة:

#### أولاً: مفهوم النظرية:

يعدّ اصطلاح نظرية من المصطلحات الغامضة التي يصعب على العالم استعماله استعمالاً دقيقاً وصحيحاً في كتاباته وبحوثه فقد يشير الاصطلاح إلى النظام التجريدي الذي يجمع الأفكار ويوحدها ويضعها في قالب يجسد معنى مفاهيم محددة يطرحها العالم في سياق أبحاثه الأكاديمية.

عرّف علماء الاجتماع النظرية الاجتماعية عدة تعاريف منها:

- هي نسق منطقي استنباطي استقرائي يتكون من مفاهيم وتعريفات وافتراسات تعبر عن علاقات بين اثنين أو أكثر من أوجه الظاهرة ويمكن أن يشتق منها فرضيات كما يمكن التحقق من صحتها أو خطئها.

- أو هي مجموعة من المفاهيم التي تشكل من خلال العلاقات بينها منظوراً مفاهيمياً للواقع الاجتماعي، بعض هذه المفاهيم وصفية تحدد وجود المضمون، والبعض الآخر تحليلي، وتشير المفاهيم فيه إلى سمات وخصائص المضمون وتتألف النظرية من مجموعة افتراضات يعبر كل منها عن علاقة بين سمتين أو أكثر بحيث تشكل هذه الافتراضات معاً نسقاً قابلاً للاستنباط وبحيث تكون المفاهيم والافتراضات قابلة للتحقق من صحتها أمبيريقياً.

- كما يمكن تعريفها بأنها نشاط عقلي يتضمن عملية تطوير أفكار تسمح للعالم تفسير الأحداث، ويتم بناء النظرية على أساس عناصر أساسية ومركبات تشمل المفاهيم،

1 <http://www.google.com/girlox?clinet:girlox&lr:org-mozilla:official>, le: 17/03/2010, 17h30.

والمتغيرات، والمقولات، وبنيات مصممة ومهما اختلفت تعريفاتها لا بد أن تتضمن هذه المكونات الأربعة.

- كما أنها نسق معرفي منطقي ومنظم يتضمن تصوراً للواقع الذي يتناوله، ويتكون من قضايا ومفاهيم وتعريفات وافتراضات ويوضح العلاقات بين الوقائع وانتظامها بطريقة دالة ويبين أسباب وظروف تشكل هذا الواقع وتبدله والبعد الامبريقي المتضمن مكونات الواقع ومعطياته بهدف تفسير هذا الواقع وفهمه والتنبؤ بما يمكن أن يكون عليه مستقبلاً.<sup>1</sup> في حين يعرفها رالف دارندولف بأنها مجموعة قوانين مستخرجة من الواقع الاجتماعي يستخلص منها استنتاجات دقيقة لا تعكس خصوصية متميزة تتصف بها مجموعة بشرية صغيرة، لها قابلية في تفسير وشرح سلوك وتفكير الناس الذي بلوره واقعهم الحقيقي<sup>2</sup>

- ويمكن تعريف النظرية الاجتماعية بأنها نشاط عقلي نتاجه قراءات منطقية واستنباطات من الواقع الاجتماعي من خلال تفسير وتحليل التفاعلات الاجتماعية والأحداث والوقائع والظواهر وصياغتها بصيغة قانون مؤلف من مفاهيم وافتراضات مترابطة فيما بينها ترابطاً منطقياً ومعبره عن وجهين أو أكثر من أوجه الظاهرة ومستندة على مرجعية أمبيريقية من الواقع تشكل فيها العلاقة بين المفاهيم والافتراضات إمكانية اشتقاق فرضيات لشرح وتفسير سلوك وتفكير الناس بواقعهم الحقيقي.

و الملاحظ أن هذه التعاريف تشترك في النقاط التالية:

- تشكل النظرية نسقا معرفيا منظما ومنطقيا.
- يتضمن هذا النسق تصورا للواقع.
- تتكون من مفاهيم وتعريفات وافتراضات.
- توضح العلاقات بين الوقائع وانتظامها بطريقة دالة.
- تشمل بعدا امبريقيا يتضمن مكونات هذا الواقع ومعطياته.
- تهدف إلى تفسير هذا الواقع وفهمه وإمكانية التنبؤ بما يمكن أن يكون عليه.
- تفتح المجال أمام الباحثين للتوصل إلى افتراضات جديدة و توسع آفاق المعرفة العلمية.

<sup>1</sup> إبراهيم عيسى عثمان، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار الشروق، عمان، الأردن، 2008، ص16.

<sup>2</sup> معن خليل عمر، مدخل علم الاجتماع، دار الشروق، عمان، الأردن، 2009، ص50.



**كخلاصة نستنتج مفهوم النظرية:** من القواسم المشتركة للتعريف أعلاه يمكن أن نحلل مفهوم النظرية الاجتماعية أي كيف نفهمها، ماذا تعني العبارات والكلمات الواردة بالتعريف فقد تكرر مصطلح (نسق) وهذا يعني مضمون مترابط من المعرفة، أما تكرار مصطلح (مفاهيم وافتراضات وتعريفات)، فالمفاهيم هي بيانات محددة في الواقع تشير إلى معناها، أما الافتراضات فهي العلاقة البنائية بين الوقائع وانتظامها في الواقع الاجتماعي، وهذه العلاقة يمكن التوصل إليها من النظريات والنماذج النظرية الموجودة أو من دراسات سابقة، كما يمكن أن يكون الواقع نفسه مصدراً لهذه الافتراضات، ثم توضح التعريف أنّ النظرية يجب أن توضح أسباب وظروف تشكل الواقع وتبدله، هنا يجب أن تفضي النظرية عن مضمون يعبر عن مكونات الواقع ومعطياته، أما موضوع التنبؤ بما يمكن أن يكون عليه الواقع فهو موضوع نسبي في الواقع الاجتماعي.

#### ثانياً: شروط النظرية:

- لكي تكون النظرية الاجتماعية علمية وقادرة على تفسير الظواهر والعلاقات والتغيرات والملابسات التي تتعلق بموضوعها ومادتها يجب أن تتوفر فيها الشروط التالية:
- 1 - يجب أن تكون أفكار ومبادئ ومفاهيم النظرية الاجتماعية مترابطة ومتكاملة بحيث تخلو مادتها من التناقض والتضارب.
  - 2 - يجب أن تتفرد النظرية الاجتماعية بتفسير الحقائق التي تشتمل عليها أي لم تكن تلك الحقائق قد أخضعت لدراسة سابقة وتم الخروج بنظرية عن دراساتنا.
  - 3 - يجب أن تكون النظرية قادرة على تفسير جميع الظواهر والملابسات التي تهتم بدراستها وتحليلها.
  - 4 - ينبغي أن تكون صحة النظرية الاجتماعية نسبية وليس مطلقة.
  - 5 - ينبغي أن تكون المادة العلمية للنظرية الاجتماعية مشتقة من طبيعة الواقع الاجتماعي الذي توجد فيه، وينبغي أن لا تكون معتمدة على أفكار فلسفية أو لاهوتية أو ذاتية لأنّ مثل هذه الأفكار لا تخضع لأساليب التحليل والتجريب والفحص الميداني الموضوعي.
  - 6 - يجب أن تكون النظرية معبرة عن فكرة أو أفكار أو مبادئ واضحة ومركزة ومتسلسلة بشكل منتظم ومنطقي بعيداً عن التعقيد والارتباك.

7 - النظرية الاجتماعية الجيدة والصحيحة هي النظرية التي تتوصل إلى نفس الحقائق والاستنتاجات إذا تكررت دراستها وفحوصها وإثباتاتها خلال فترات زمنية مختلفة وفي أماكن جغرافية مختلفة.<sup>1</sup>

### ثالثاً: بناء النظرية:

اختلف علماء علم الاجتماع في تحديد عناصر ومكونات النظرية العلمية، انطلاقاً من اختلاف منطلقاتهم الفكرية والمقاربات المنهجية التي يتبنونها، فمثلاً يرى "غراهام كينلوك" G. C. Kinlocke أن النظرية تتكون من العناصر التالية:

- نموذج قياس.
  - مجموعة مفاهيم.
  - قضايا تعبيرية ( تتمثل في قضايا تقريرية وفروض )
  - مجموعة المناهج المستخدمة في اختبار العلاقات الافتراضية.
  - تحليل البيانات.
  - تقسيم النتائج.
  - عملية تقويم البناء الامبريقي والمنطقي للنظرية في ضوء تحليل البيانات وتفسيرها. وهناك من يرى أن العناصر التي تبنى عليها النظرية هي:
    - نموذج قياسي أساسي، أي نموذج العلاقات المسلم بها.
    - الصياغة الاجرائية للفروض و المتغيرات والمؤشرات.
    - مجموعة المناهج اعتماداً على النظرية ونوعية البيانات.
    - تحليل البيانات، المعالجة الاحصائية، الارتباط، اختبارات الدلالة.
    - تفسير البيانات، حدود البيانات.
    - تقويم النظرية أي كفاءتها النظرية والامبريقية.<sup>2</sup>
- وعموماً يمكن استخلاص أن النظرية كبناء معرفي تتكون من العناصر التالية:
- المتغيرات: العناصر والجزئيات التي يعمل الباحث على دراستها.

<sup>1</sup> إحسان محمد الحسن، موسوعة علم الاجتماع، الدار العربية للموسوعات، بدون تاريخ، ص640.

<sup>2</sup> علي عبد الرزاق جلبي، الاتجاهات السياسية في نظرية علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1991، ص ص

- الفرضيات: العلاقات بين المتغيرات التي يسعى الباحث إلى البرهنة على صحتها أو خطئها.
- المفاهيم: رموز اصطلاحية لمعنى في الواقع وتكون لغوية أو إجرائية.
- القضايا: أي ترتيب وتنظيم المفاهيم في مقولات تحدد وجودها والعلاقة بينها.
- النموذج: هو الطريقة التي يصوغ من خلالها الباحث النتائج توصل إليها من خلال البحث.
- القانون: و هو المرحلة النهائية والتراكمية فهو يعبر عن النتيجة النهائية للبحث وإبراز العلاقة بين المتغيرات.

#### رابعا: النظريات الأساسية لعلم الاجتماع

سنحاول في هذا الجزء من البحث التطرق إلى النظريات الأساسية في علم الاجتماع، والتي شكلت أهم المنظورات التي سعى رواد علم الاجتماع وعلماءه إلى تفسير الظواهر الاجتماعية من خلالها\*

#### 1- النظرية الوظيفية

##### أ- الجذور التاريخية للنظرية الوظيفية:

تمتد جذور النظرية الوظيفية في علم الاجتماع إلى القرن الثامن عشر عندما ظهر مفكرون اجتماعيون بارزون أمثال فولتير، روسو، هوبز الذين اعتنقوا مبدأ العلاقة الوظيفية بين متغيرين عاملين أحدهما مستقل والثاني معتمد، ثم ظهر الدافع الحقيقي لاستعمال اصطلاح وظيفة مع ظهور علماء الاجتماع في القرن التاسع عشر أمثال هيربرت سبنسر ورواد الاتجاه التطوري الذين شبهوا المجتمع بالكائن الحي من حيث الأجزاء البنائية والوظائف فاستخدموا كلمة وظيفة محل كلمة غاية أو غرض طالما أن وجود الظواهر الاجتماعية لا يعتمد على النتائج التي تحدثها<sup>1</sup> فالمجتمع بالنسبة إليهم وحدة لا فرق بينها وبين وحدة جسم الكائن الحي ويتكون من بناءات وأنظمة وأفكار مترابطة متساندة تكون في مجموعها ومحصلتها الوظائف التي تعطي للمجتمع ديمومته كما تعطي أعضاء الكائن الحي بمحصلة عملها الحياة له، فأول ما افترضه رواد هذا الاتجاه هو وحدة المجتمع كما الكائن الحي هو واحد لا يمكن

\* تم التطرق إلى أهم أفكار المدرسة الوضعية و المدرسة الماركسية في معرض الحديث عن اسهامات رواد علم الاجتماع، فأوغست كونت يمثل النظرية الوضعية بينما يجسد كارل ماركس أهم افتراضات المدرسة الماركسية، وتجنبنا للتكرار فلن يتم التطرق لهاتين النظريتين في هذا الجزء.

<sup>1</sup> إحسان محمد الحسن، المدخل إلى علم الاجتماع، دار الطليعة، بيروت، 1988، ص111.

شطره، وافترض الترابط والتساند في العلاقات الاجتماعية كما تترابط وتتساند أعضاء الكائن الحي من أجل ديمومة حياته. ومن أبرز ما توصل إليه هذا الاتجاه أنّ التغيير الذي يحدث بالجزء يؤدي إلى تغيرات في الأجزاء الأخرى وأعطى تفسيره للتغيير الاجتماعي بأنه يقع جراء التغيير في أنماط الفكر.<sup>1</sup>

ومن بين المفكرين الذين أسهموا في ظهور هذه النظرية نجد فلوريدو باريتو، وهربرت سبنسر، ومالينوفسكي، وراي كليف براون.

### ب- معنى ومضمون الوظيفية

مفهوم الوظيفية جاء أصلاً من علم الأحياء ويستخدم كذلك في علم الإدارة واستعاره علم الاجتماع كما المصطلحات الأخرى مثل الإيكولوجيا والفيزيقي وغيرها فإنّ مفهومها يتضمن أربعة معاني: أولاً وهي نشاط كأي من النشاطات العامة الجماعية كالطقوس أو المراسم أو المشاركات، وثانياً لها معنى في علم الرياضيات كدالة وظيفية لاستخراج دالات قيمية، وثالثاً كما تشير لنشاط مهني كوظيفة رئيس الدائرة أو المعلم أو الطبيب، ورابعاً كما تستخدم في علم الاجتماع ليعبر بها عن نشاطات نسق محدد وتكيفه أو ما يلعبه الدور أو النظام في تلبية حاجات الوحدة الاجتماعية، أما مضمون الوظيفية إذ ترى المدرسة الوظيفية أنّ المجتمع نظام معقد تعمل شتى أجزاؤه سوية لتحقيق الاستقرار والتضامن بين مكوناته ووفقاً لهذه المقاربة فإنّ على علم الاجتماع استقصاء مكونات المجتمع بعضها ببعض وصلتها بالمجتمع برمته ويمكننا أن نحلل النشاطات الإنسانية والأفعال بما يترتب عليها من نتائج.<sup>2</sup>

وتهتم بالتركيز على الكلّ أكثر من الأجزاء والأساس هو اعتبار المجتمع كوحدة ممثلة في نسق كلي ويمكن أن تمثل فيه الأسرة نسقاً فرعياً، ويفترض الاتجاه الوظيفي ترابط الأجزاء وتكاملها وظيفياً، فكلّ جزء في النسق يؤدي وظيفة أو أكثر وتتكامل هذه الأجزاء وظيفياً في تلبية حاجات النسق، وتشكل هذه الأجزاء المختصة والمتباينة وظيفياً نوعاً من الانتظام وحالة من التوازن، وإذا ما حدث تغير فإنّ لكل نسق آليات تعيده إلى حالة التوازن، كما في جسم الكائن الحي عندما تعيده آليات الدفاع عندما يمرض إلى حالته الصحية الأولى. ومن هذا المبدأ يرى الوظيفيون المعاصرون أنّ افتراض علاقات الصراع والتكامل يجب أن

<sup>1</sup> معن خليل عمر، المدخل إلى علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص 60.

<sup>2</sup> محمود عودة، مرجع سبق ذكره، ص ص 100-102.

تحلّ محل افتراض التكامل كأساس للعلاقات فرغم اعترافهم بالتناقض في العلاقات واحتمال ظهور توترات وانحرافات لكن هذه كلها يمكن حلّها وتجاوزها.  
**أما تصنيفات الوظيفية:** فتتضمن شكلين من التصنيفات الأول كما صنفها مارك أبراهامسون وهو:

- الوظيفية الفردية: وتركز على الفرد الفاعل وما ينبثق عن الحاجات الفردية من بناءات ونظم كما تفضي دراسات العالم مالينوفسكي.
  - الوظيفية العلائقية البنائية: ويتم فيها التركيز للعلاقات بين الأجزاء وبينها وبين الكل وكما تفضي دراسات راد كليف براون عندما ربط الأجزاء بالنسق بما ينتج عنها من تضامن اجتماعي.
  - الوظيفية الاجتماعية: هي الاهتمام بالبناءات والنظم السياسية من خلال علاقاتها ببعضها من جهة وارتباطها بالعقل الاجتماعي وضبط السلوك من جهة أخرى كما تفضي دراسات بارسونز.
- أما التصنيف الثاني وهو كما صنفها العالم كانيكان هو:
- الاتجاه التقليدي: والذي يفترض معاصريه إنّ كل البناءات الاجتماعية تعمل من أجل صيانة واستمرار تكامل النسق وتوازنه وتكليفه.
  - الاتجاه السوسولوجي: ويتم التركيز فيه على بحث العلاقات المحددة بين المتغيرات الاجتماعية ذات الدلالة يقصد الكشف عن الانتظامات والأنماط العامّة في الواقع الاجتماعي.
  - الاتجاه السيبرنطقي: أي التنظيم الذاتي ويركز أصحابه على التغذية المرتجعة التي تحافظ على حالة التوازن أو تعيد النسق إلى حالة التوازن عند حصول التغيير التدريجي.

ويعتبر مفهوم المتطلبات الوظيفية من المفاهيم التي تحيطها الإشكالية، فالتساؤل فيه مشروع لأنه لا إجابات عن فرضياته مثال هل يؤدي فناء جماعة أو مجتمع محلي إلى زوال المجتمع كلّهُ؟ أو هل يؤدي تدني الولادات عن معدل الوفيات إلى انتهاء البشر في يوم ما؟ وهل

1 شاكرك حسين الخشالي، نظريات معاصرة في علم الاجتماع، منشورات الاكاديمية العربية المفتوحة في الدانمارك، 2010، كتاب اليكتروني من الموقع: [http://www.ao-academy.org/wesima\\_articles/library-20110129-2360.html](http://www.ao-academy.org/wesima_articles/library-20110129-2360.html)

عجز المجتمع عن استكشاف موارد وعدم استثمارها إلى زواله؟ إن الإجابة على هذه الفرضيات صعبة للغاية لأنّ هناك حقائق تنفيها وأخرى تؤيدها مثلاً في مجال استغلال الموارد في دول الخليج ثمّ الاعتماد على أناس من غير مجتمعاتهم لاستخراج واستثمار دفين ثرواتهم بما يؤمن ديمومة وجودهم، في حين في اليابان لا توجد لديهم ثروات لكن عندهم طاقات فكرية عظيمة جذورها لتخلق أداة البقاء من خارج مجتمعهم فقد حصلوا بفكرهم على ما يبقي حياتهم.

وخلاصة القول قد قسم العلماء قوائم ارتكاز النظرية الوظيفية إلى حالتين: عوامل قد تقوّض المجتمع تقابلها متطلبات بنائية لاستقرار المجتمع وتوازنه وبقائه.

## 2- النظرية البنائية الوظيفية:

بقيت النظرية الوظيفية تسيطر على الفكر الاجتماعي حتى أوائل الستينات من القرن العشرين ثمّ ظهرت طروحات تجديدية سمّيت بالوظيفية الجديدة أو البنائية الوظيفية تمتد جذور هذه النظرية الجديدة في كتابات بارسونز إلى العقد الثالث من القرن العشرين كما ظهرت حتى في كتابات تلاميذه أمثال ميرتون والتي ختمها بارسونز بالنقد الذي أدى إلى تعديلات في البنائية الوظيفية.

وتعتمد هذه النظرية على مفهوم أساسي هو مفهوم النسق الاجتماعي الذي يشير معناه إلى مجموعة من الفاعلين في عملية تفاعل ضمن موقف يشمل على الأقلّ وجهاً فيزيقياً بيئياً وفاعلين لديهم حوافز لتعظيم المنفعة والرضا وحيثما تتحدد علاقاتهم بالموقف تتحدد أيضاً بالبيئة وكذلك تتحدد بالنسق الثقافي للجماعة وما يتضمنه من رموز مشتركة كما يمكن أن يحدد النسق الاجتماعي في مجال فردين أو أكثر يشتركون في تفاعل مستمر بمحيط محدد<sup>1</sup>، لقد تحول بارسونز في بحثه للنسق الاجتماعي من التركيز على الفاعل والفعل في نظرية الفعل الاجتماعي إلى التركيز على الدور والمكانة، واعتبرها الأساس في تحليل النسق الاجتماعي فهو بذلك انتقل من الاهتمام بالعوامل الفردية إلى اعتبار البناءات والنظم هي الأساس في تشكيل الفعل الإنساني. فخصائص الدور والمكانة تتحدد اجتماعياً إذن ستكون اختيارات الفاعل مقيدة بما يرتبط بها من توقعات فنتضاعل حرية الاختيار الفردي أمام قيود

<sup>1</sup> معن خليل عمر، معجم علم الاجتماع المعاصر، مرجع سبق ذكره، ص386

ما هو اجتماعي وثقافي وبهذا تحول من التركيز على البعد الذاتي إلى التركيز على البعد الموضوعي<sup>1</sup>.

أجرى بارسونز دراسة للنظام الاجتماعي معتمداً على التحليل البنائي الوظيفي وأسس تحليله على الفرضيات التالية:

- يشكل النظام الحالة الأساسية للنسق وما بين مكوناته من علاقات.
- تميل الأنساق الاجتماعية إلى المحافظة على النظام وحالة التوازن.
- يمكن أن يكون النسق ثابتاً مستقراً أو متغيراً تغيرات تدرجية منتظمة.
- ترتبط أجزاء النسق ومكوناته بعلاقات تكاملية منسجمة.
- يحافظ النسق على حدود معينة في علاقته ببيئته.
- تعتبر عمليات توزيع الأدوار والمكانات والتكامل بينها من العمليات الضرورية لحالة التوازن.

• يميل النسق إلى المحافظة على الحدود وعلاقات الأجزاء بالكل وفيما بينها وضبط التغيرات في البيئة وضبط الميل لتغيير النسق من الداخل<sup>2</sup>.

وبهذا يصبح النظام واستقراره واستمراره القضية الأساسية مما يتطلب تشخيص الظروف والمتطلبات التي تحقق استمرار النظام وذلك يتم بالتحليل الوظيفي الذي يتناول المتطلبات الوظيفية الضرورية التي يجب أن تتوفر كمستلزمات لبقاء النظام واستقراره وهذه هي:

- الحاجة الوظيفية للتكيف: وهي القدرة على بناء العلاقة مع البيئة ومواردها وذلك من خلال عمليات الإنتاج لتلبية حاجات النسق وهنا تبرز أهمية العامل الاقتصادي في علاقة النسق بالبيئة الطبيعية والاجتماعية الخارجية وفي أشكال التنظيمات الداخلة في تقسيم العمل وفي إعداد القوى البشرية.
- الحاجة الوظيفية لتحقيق الأهداف: وهذا يتطلب تحديد الأهداف بوضوح ثم برمجة الطرق والوسائل الجماعية التي تمكن الجماعة من تحقيق تلك الأهداف وأن يمثل الأفراد لهذه الوسائل وأن يتحقق الإجماع على الأهداف.

<sup>1</sup> علي عبد الرزاق جلبي، و آخرون، علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1998، ص 76.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص ص 386 - 387.

• الحاجة الوظيفية للتكامل: يفترض بارسونز ضرورة بناء قاعدة ثقافية مشتركة كأساس رمزي معياري مشترك وكإطار مشترك في بناء أنماط شخصية متماثلة ومتفقة في توجهاتها مع ثقافة الجماعة وتوقعاتها لضمان علاقة تكاملية بين المستوى الفردي والجماعي، ولهذا ركز بارسونز على عملية التنشئة ومؤسساتها وعلى عملية الضبط متوخياً أن تتماثل عملية التنشئة وتتكامل<sup>1</sup>.

• الحاجة الوظيفية لصيانة الأنماط القائمة وإدارة التواترات: إنّ انتظام المجتمع يحتاج إلى عوامل ضبط وهذه تتجسد بوسائل تعزيز الامتثال والوسائل المنظمة لمواجهة التحديات وما يهدد النظام وهنا تبرز الأهمية الوظيفية للعادات و التقاليد والقيم والأعراف والثقافة الشعبية فهذه هي عوامل الضبط.<sup>2</sup>

إنّ فالحاجات الاجتماعية كما حددها بارسونز، هي متطلبات النظام التي يبحث عن اشباعها بهدف البقاء في المجتمع بشكل فعال، وتحافظ على بنائه واستقراره و أدائه للوظائف المناطة به. وبالرغم من الاسهامات الكثيرة والمهمة التي أتى بها بارسونز والرواد الاوائل للوظيفية إلا أنها تعرضت كمنظرة للعديد من الانتقادات المنهجية والمعرفية، وكرد فعل على هذه الانتقادات ظهر اتجاه جديد يتمثل في **الوظيفية الجديدة** التي تظهر من خلال اسهامات "روبرت ميرتون" "Robert Merton"

ويعتبر الاسهام الاساسي لميرتون في الربط بين النظرية والواقع، فالنظرية بالنسبة إليه لا بد أن ترتبط بالواقع الامبريقي ليس فقط في بنائها وإنما في إمكانية التحقق من صحتها أو دقتها فهو يرى أنّ عدم توفر الدراسات الامبريقية الكافية من جهة وعدم وجود تراكم معرفي كاف في علم الاجتماع من جهة أخرى يجعل مثل هذا التنظير سابق لأوانه<sup>3</sup> فرأى من الأفضل اختيار مفاهيم وسطى يمكن ربط معانيها بمؤشرات في الواقع من خلال تعريفات إجرائية بحيث تشكل دراسة العلاقة بينها ما أسماه بنظريات الحد الأوسط، ويمكن أن يمثل هذا التوجه اختيار قطاعات أو ظواهر اجتماعية بحيث تشكل نتائج دراستها قاعدة معرفية

<sup>1</sup> شاكر حسين الخشالي، مرجع سبق ذكره، ص ص 21 - 22

<sup>2</sup> معن خليل عمر، **علم المشكلات الاجتماعية**، دار الشروق، عمان، 2008، ص ص 67-68.

<sup>3</sup> إبراهيم عيسى عثمان، **النظرية المعاصرة في علم الاجتماع**، دار الشروق، عمان، 2008، ص 64.



لبناءات نظرية أكثر شمولاً ولكن ظلّ ميرتون يعمل ضمن إطار البنائية الوظيفية رغم نقده لها واقتراح التعديلات اللازمة لبعض افتراضاتها الأساسية<sup>1</sup>

بالإضافة لما سبق فقد طرح روبرت ميرتون فكرة الوظائف الظاهرة والوظائف الكامنة، والتي تشير إلى أن هناك عناصر في النسق الاجتماعي تحقق وظائف مقصودة و أخرى غير مقصودة، ومن ثم يتجسد التحليل الوظيفي للظواهر الاجتماعية لميرتون من خلال تمييزه بين بين الوظائف الظاهرة التي يعتبرها نتائج موضوعية تحدثها سمة اجتماعية أو ثقافية معينة، تلك النتائج تفرض على الافراد تبنيتها والتكيف معها، والوظائف الكامنة التي تعني النتائج غير المقصودة وغير المقررة، أي أنها النتائج غير المعلن عنها في أهداف النسق يشكل رسمي، و إنما تتوخى عند وضع الاهداف<sup>2</sup> ومن جهة أخرى طرح روبرت ميرتون مفهوم المعوقات الوظيفية والذي يعرفها بأنها تلك النتائج التي يمكن ملاحظتها والتي تحد من تكيف النسق و توافقه، كما أن مفهوم المعوقات الوظيفية بما يتضمنه من ضغط وتوتر على المستوى البنائي، يمثل أداة تحليلية هامة لفهم ودراسة الديناميات والتغير<sup>3</sup>

وكخلاصة لأهم ما جاءت به النظرية الوظيفية نستنتج أن التفكير الوظيفي هذا يمثل الصدارة بين التقاليد النظرية في علم الاجتماع لوقت طويل ولا سيما في الولايات المتحدة وكان بارسونز وميرتون وكلاهما نهل من أفكار دوركايم يعتبرون من أبرز الداعين إلى هذا التيار، غير أن الشعبية التي كانت تتمتع بها المدرسة الوظيفية قد مالت إلى الأفول في الآونة الأخيرة بعد أن اتضح ما تعانیه من أوجه القصور والثغرات ومن جملة ما يوجه لها من انتقادات أنها تغالي في التشديد على العوامل المؤدية إلى التماسك الاجتماعي على حساب العوامل الأخرى التي تفضي إلى التجزئة والصراع، فالتركيز على نواحي الاستقرار والنظام يعني التقليل من أهمية التقسيمات والتفاوتات التي تنشأ في المجتمع على أساس الطبقة والعرق والجنس كما أن الوظيفيون يميلون إلى التقليل من دور الفعل الاجتماعي الخلاق في المجتمع ويرى كثير من النقاد أن التحليل الوظيفي يسبغ على بعض المجتمعات صفات اجتماعية لا توجد فيها ذلك أن الوظيفيين كثيراً ما يقولون أن للمجتمع حاجات وأن له أهداف رغم أن هذه المفاهيم لا تصدق إلا على الأفراد من البشر.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 65

<sup>2</sup> علي عبد الرزاق جليبي، الاتجاهات السياسية في علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص 190 - 210

<sup>3</sup> نيكولا تيماشيف، مرجع سبق ذكره، ص 320 - 338.

## 3- النظرية التفاعلية الرمزية:

يرجع أصحاب هذه النظرية جذورها إلى أفكار العالم الاجتماعي ماكس فيبر، الذي أكد أن فهم العالم الاجتماعي يتم من خلال فهم أفعال الافراد الذين نتفاعل معهم، ثم تولى تطويرها جملة من العلماء منهم جورج هربرت ميد. وهي تبدأ بمستوى الوحدات الصغرى (MICRO)، منطلقاً منها لفهم الوحدات الكبرى، بمعنى أنها تبدأ بالافراد وسلوكهم كمدخل لفهم النسق الاجتماعي. فأفعالُ الأفراد تصبح ثابتةً لتشكل بنية من الأدوار؛ ويمكن النظر إلى هذه الأدوار من حيث توقعات البشر بعضهم تجاه بعض من حيث المعاني والرموز. وهنا يصبح التركيز إما على بُنى الأدوار والأنساق الاجتماعية، وإما على سلوك الدور والفعل الاجتماعي<sup>1</sup>. ومن أشهر ممثلي النظرية التفاعلية الرمزية:

## 1- جورج هربرت ميد: (1863-1931) George H. Mead

استطاع جورج ميد في محاضراته التي كان يُلقِيها في جامعة شيكاغو، على طول الفترة من (1894-1931) أن يُبلور على نحوٍ متقن، الأفكار الأساسية لهذه النظرية. وقد جَمَعَ له تلاميذه كتاباً بعد وفاته، يحتوي على معظم أفكاره التي كانوا يدونونها في محاضراته، تحت عنوان (Mind, Self and Society, 1934).

ويبدأ ميد بتحليل عملية الاتصال، وتصنيفها إلى صنفين: الاتصال الرمزي، والاتصال غير الرمزي. فبالنسبة للاتصال الرمزي فإنه يؤكد بوضوح على استخدام الأفكار والمفاهيم، وبذلك تكون اللغة ذات أهمية بالنسبة لعملية الاتصال بين الناس في المواقف المختلفة، وعليه فإن النظام الاجتماعي هو نتاج الأفعال التي يصنعها أفراد المجتمع، ويُشير ذلك إلى أن المعنى ليس مفروضاً عليهم، وإنما هو موضوع خاضع للتفاوض والتداول بين الأفراد<sup>2</sup>. فالمجتمع بالنسبة له " ما هو إلا حصيلة العلاقة المتفاعلة بين العقل البشري والنفس البشرية... ولا وجود للعقل أو النفس خارج المجتمع الانساني لأنهما متفاعلان ومتلازمان، وما سلوك الفرد إلا انعكاس لعملية التفاعل الاجتماعي المستمرة في المجتمع<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> معن خليل عمر، نقد الفكر الاجتماعي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية، دار الآفاق الجديدة، لبنان، 1991، ص 164.

<sup>2</sup> السيد علي شتا، نظرية علم الاجتماع، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 1993، ص ص 317 - 340.

<sup>3</sup> علي عبد الرزاق جليبي، الاتجاهات السياسية في نظرية علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص 338.

2- هربرت بلومر: (1900-1986) H. Blumer

وهو يتفق مع جورج ميد في أن التفاعل الرمزي هو السمة المميزة للتفاعل البشري، وأن تلك السمة الخاصة تنطوي على ترجمة رموز وأحداث الأفراد وأفعالهم المتبادلة. وقد أوجز فرضياته في النقاط التالية:

• يتصرف البشر حيال الموضوعات التي يتضمنها عالمهم على أساس ما تعنيه تلك الموضوعات بالنسبة إليهم.

• هذه المعاني هي نتاج للتفاعل الاجتماعي الإنساني.

• هذه المعاني تحور وتعدل، ويتم تداولها عبر عمليات تأويل يستخدمها كل فرد في تعامله مع الإشارات التي يواجهها<sup>1</sup>.

كما صاغ هربرت بلومر أفكاره في كتابه المنشور سنة 1969 و المعنون: " منظور ومنهج التفاعلية الرمزية" Symbolic Interactionism Perspective & Method والذي انتقد فيه التحليل المنهجي القائم على العلاقة بين المتغير المستقل والمتغير التابع، فهو حسب تحليل خاص بالعلوم الدقيقة و لا يمكن نقله إلى علم الاجتماع دون تعديله.

والمبرر الذي يقدمه بلومر هو أن الحياة الاجتماعية بالغة التعقيد وتتشكل من عمليات متداخلة ولا يمكن حصرها بهذه الطريقة، ولتجاوز هذه العقبة لابد من اكتساب معرفة مفصلة حول مختلف الظواهر ثم بناء نظام فكري خاص بالعلوم الاجتماعية يختلف عن ذلك المعتمد في العلوم الطبيعية، ولتحقيق ذلك على الباحث معايشة الظاهرة كما هي في الواقع و أن يتعرض للخبرات الحياتية للأشخاص الذين يقوم بدراساتهم<sup>2</sup>

3 - إرفنج جوفمان: (1922-1982) Erving Goffman

وجّه اهتمامه لتطوير مدخل التفاعلية الرمزية لتحليل الأنساق الاجتماعية، مؤكداً على أن التفاعل - وخاصة النمط المعياري والأخلاقي- ما هو إلا الانطباع الذهني الإرادي الذي يتم في نطاق المواجهة، كما أن المعلومات تسهم في تعريف الموقف، وتوضيح توقعات الدور.

<sup>1</sup> السيد علي شتا، نظرية علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص ص 315 - 320.

<sup>2</sup> إيان كريب، ترجمة: محمد حسين غلوم، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هايرماس، المجاس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992، ص ص 129 - 136.

وفي الواقع يرى غوفمان أن الحياة الاجتماعية ما هي في الحقيقة إلا مسرحاً يلعب الأفراد فيه أدواراً، وعليهم أن يتظاهروا بأنهم يحملون حمل الجد أدوار الآخرين، وعندما يخرج الفرد من العرض\* كي يعود إلى الكواليس\*\* يستطيع الفرد حينها تخفيف السيطرة على سلوكه والتصرف بشكل مريح أكثر و بحسب ما يراه مناسباً ( التلطف بعبارات ساخرة، إظهار مشاعر الغضب أو التعبير عن الحنق وغيرها من السلوكيات التي لا يستطيع الفرد إظهارها أما الآخرين).<sup>1</sup>

أما منهجياً فقد دعا غوفمان إلى اعتماد الملاحظة بالمشاركة كتقنية أساسية في تحليل التجارب المعيشة وقواعدها الداخلية\* فلا يمكن توقع فهم الحياة الاجتماعية للأفراد دون الاقتراب منهم ومعايشة هذه الحياة في مجالاتها الطبيعية و التفاعل مع الفاعلين فيها.<sup>2</sup>

4- كما أن هناك عدداً كبيراً من العلماء الذين لم تُناقش أعمالهم بشكلٍ واسع، مع أنهم من أعلام ومؤسسي النظرية التفاعلية الرمزية. ومنهم:

• روبرت بارك Robert Park (1864-1944) ووليم إسحاق توماس W. I. Thomas ، (1863-1947) وهما من مؤسسي النظرية.، ومانفرد كون ManferdKuhn ، (1911-1963) وهو عالم اجتماع أمريكي، ومن رواد مدرسة (أيوا) للتفاعلية الرمزية.

• وكذلك كل من ميلتزر Meltzer ، وهيرمان Herman ، وجلاسر Glaser ، وستراوس Sturauss، و جورج زيمل George Simmel وغيرهم.

أما المصطلحات الأساسية للنظرية فهي:

\* المقصود حسب غوفمان بالعرض هو الموقف الاجتماعي الذي يكون فيه الفرد كاجتماع عمل أو سهرة عائلية أو جاسة مع الاصدقاء أو العملاء وغيرها من المواقف اليومية

\*\* الكواليس هي المكان الذي يعود إليه الفرد بعد انتهاء العرض كالمكتب الخاص، البيت، الغرفة الخاصة وغيرها، أين يمكن للفرد التحرر من الموقف الذي كان فيه سابقاً

<sup>1</sup> فيليب كابان، جان فرنسوا دوروثيه، مرجع سبق ذكره، ص 119 - 120.

\* توصل غوفمان لهذه الحقيقة من خلال دراسته لفئات مختلفة من الأفراد في عدة بحوث قام بها كمعايشته للمرضى العقليين وظروف حياتهم في المستشفيات و عند معايشته للمعوقين بدنياً ونفسياً، وقد لخص هذه الدراسات في كتابه المصحات

النفسية وكتاب الوصمة (1963)، لمزيد من التفاصيل حول أعمال غوفمان يمكن الرجوع إلى: فيليب كابان، جان فرنسوا دوروثيه، المرجع السابق، ص 119 - 122.

<sup>2</sup> الموجه نفسه، ص 121 - 122.

1. التفاعل: Interaction: وهو سلسلة متبادلة ومستمرة من الاتصالات بين فرد وفرد، أو فرد مع جماعة، أو جماعة مع جماعة.
- و في كتابه حول النظرية في علم الاجتماع حدد جورج زيمل نوعين من التفاعل الاجتماعي:
  - تفاعل اجتماعي بين الاجناس البشرية. - تفاعل اجتماعي بين الاجناس غير البشرية.<sup>1</sup>
2. المرونة: Flexibility ويقصد بها استطاعة الإنسان أن يتصرف في مجموعة ظروف بطريقة واحدة في وقت واحد، وبطريقة مختلفة في وقت آخر، وبطريقة متباينة في فرصة تالفة.
3. الرموز: Symbols وهي مجموعة من الإشارات المصطنعة، يستخدمها الناس فيما بينهم لتسهيل عملية التواصل، وهي سمة خاصة في الإنسان. وتشمل عند جورج ميد اللغة، وعند بلومر المعاني، وعند جوفمان الانطباعات والصور الذهنية.
4. الوعي الذاتي: Self- Consciousness وهو مقدرة الإنسان على تمثّل الدور، فالتوقعات التي تكون لدى الآخرين عن سلوكنا في ظروف معينة، هي بمثابة نصوص يجب أن نعيها حتى نمثلها، على حدّ تعبير جوفمان.<sup>2</sup>
- **الانتقادات الموجهة للنظرية التفاعلية الرمزية:**
  - ساهمت الافكار التي قدمها بلومر في ظهور العديد من الكتابات النظرية التي انتقدت في مجملها التفاعلية الرمزية.
  - كانت البداية هي التساؤل عن جدوى الاستخدام الكلي لهذه الطريقة المنهجية في البحث عند صياغة نظرية اجتماعية.
  - ويرى النقاد بأن التفاعلية الرمزية كنظرية سوسولوجية تخلت عن العديد من الأساليب العلمية التقليدية في فهم البناءات الاجتماعية فلو كانت الظواهر الاجتماعية ناتجة عن تفاعل أفراد المجتمع وأعضائه فكيف يمكن لنا دراسة ما يعرف بالذات أو الوعي دراسة علمية مع العلم أنه لا يمكن تحديدها تحديد كمي. كما أن المنهاج الذي اقترحه بلومر لا يستطيع أن يفسر البناء الاجتماعي الكبرى.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> السيد علي شتا، مرجع سبق ذكره، ص ص 315 - 316.

<sup>2</sup> معن خليل عمر، نقد الفكر الاجتماعي المعاصر، مرجع سبق ذكره، ص ص 194 - 224.

<sup>3</sup> شاكر حسين الخشالي، مرجع سبق ذكره، ص ص 51 - 52.

- رؤية التفاعلية الرمزية تجعل أحكامها اجتماعية وهذا يتناقض مع الحتمية إذا أن القدرات الرمزية للتفاعلين يتبع إدخال عناصر استثنائية غير متوقعة في الموقف التفاعلي مما يمكن له أن يغير مجرى التفاعل في أي لحظة .

-أقر بلومر كيف يمكن دراسة عملية التفسير والتقييم والتعريف والتخطيط في إطار تعريفات إجرائية واضحة فرأى أن قضايا التفاعل الرمزي تسمح باختبار المباشر للعالم التجريبي دون أن يوضح الطريقة للقيام بذلك. فقيمة وصحة هذه القضايا والمفاهيم ينبغي أن تتحدد من خلال هذا الاختبار وليس من خلال رؤية ما.

- ما يطرأ على هذه القضايا عندما تخضع لمقاييس غير ملائمة للبحث ويرى أن هذه المقاييس تتضمن مجموعة زائفة من الفروض ككيفية ارتباط المفاهيم بأحداث العالم التجريبي ارتباطا ضروريا، إضافة إلى وجود مفاهيم غامضة وغير محددة تمتد من اقتراب العالم التجريبي وفهمه لأن لسنا على ثقة مما يحاول فهمه إذن عدم الثقة فيما نحاول الإشارة إليه يمنعا من طرح أسئلة واضحة ذات صلة دقيقة بالموضوع ويمنع من طرح مشكلات ملائمة.<sup>1</sup>

وعموما يظل الانتقاد الرئيس للنظرية التفاعلية الرمزية يتمثل في كونها عالجت المفاهيم المتعلقة بالفرد كوحدة كالذات و الأنا والعقل والدور وغيرها، ولم تعالج المفاهيم الخارجة عن إطار شخصيته كالنظام الاجتماعي و النسق الاجتماعي و الحضارة، ونتيجة لهذه الانتقادات جاءت بعض المحاولات لتطوير هذه النظرية لعل أهمها محاولات سترايكر. **أطروحات سترايكر لتحديث النموذج التفاعلي الرمزي:**

حاول سترايكر أن يعالج نظرية التفاعل ويجعلها نظرية سوسيولوجية معاصرة تركز دراستها لعملية التفاعل على كل الظواهر الكبرى والصغرى، حيث رأى سترايكر أنه يجب تحليل الظواهر من مستوى الفرد أو الذات إلى مستوى البناءات الاجتماعية الكبرى أي أنها يجب أن تركز على العلاقات التبادلية بين الفرد و المجتمع باعتبارهما وحدة الدراسة والتحليل وليس الاهتمام فقط بالذات كوحدات صغرى وهذا بهدف طرح تصورات جديدة تصبح مسلمات.

فتصورات سترايكر حول تحديث التفاعلية الرمزية هي تحديث لأطروحات H- Mead :

<sup>1</sup> معن خليل عمر، نقد الفكر الاجتماعي المعاصر، مرجع سبق ذكره، ص 229.

- يعتمد الفعل الإنساني على المسلمات المرتبطة بالأشياء في العالم والتي تحمل نفس مسلماتها بالإضافة إلى معانيها لدى الفاعلين (الأفراد).
  - يتعلم الناس كيفية استخدام الرموز لتجديد مكانتهم الاجتماعية ويعتبر هذا عنصرا هاما لتفسير معاني الأشياء كما يجب أن يهتم الناس أيضا لمعرفة الأدوار التي تساهم المشاركة في التعريفات السلوكية المرتبطة بمكانتهم الاجتماعية.
  - ضرورة الاهتمام بتحليل مكونات البناءات الاجتماعية الكبرى بالإضافة إلى تحليل الذات الفردية.
  - يتعرف الأفراد على أنفسهم وعلى الآخرين وعلى مكانتهم ووضعهم الاجتماعي الذي يشغلونه، هذا الإدراك للنفس وللآخرين والمكانة يعتبر جزء من الذات.
  - عندما يحدث التفاعل بين الأفراد يستطيعون تحديدا المواقف وتسميتها.
  - السلوك الاجتماعي لا يتحدد بالمعاني الاجتماعية فقط إنما بالنشاط الذي يستطيع الفرد به توجيه دوره رغم أن المعاني الاجتماعية تفرض قيودا على سلوك الاجتماعي.
  - تقوم البناءات الاجتماعية بعملية تحديد الأدوار وتختلف البناءات فيما بينها بالنسبة لهذه العملية فهناك كثيرا من البناءات التي تسمح بظهور أنشطة وأدوار إقحاميه مقارنة بغيرها
  - تغير الأسماء والرموز يؤدي إلى تغير البناءات الاجتماعية<sup>1</sup>.
- كخلاصة يمكن القول بأن التفاعلية الرمزية ركزت على التفاعل الرمزي كما صحت المنظورات الأخرى كالوظيفية والصراع التي أكدت على البناءات الكبرى وأهملت الوحدات الصغرى، كما يمكن أن تستخدم مفهومات التفاعل الرمزي لتشمل مدى واسع من العلاقات الإنسانية مثل الصراع، التعاون، الخضوع، ومن حيث المبدأ على الأقل فإن التفاعلية الرمزية تجعل صياغة نظريات متباينة تدرس كل نمط من العلاقات الإنسانية أمرا لا ضرورة منه.
- 4- النظرية النقدية في علم الاجتماع:**

ظهرت هذه النظرية من خلال أفكار مجموعة من الباحثين والمفكرين الذين اختلفت أفكارهم في النقد، أطلق عليهم مدرسة فرانكفورت نسبة إلى معهد الدراسات الاجتماعية حول الفكر اليساري، هذا المعهد الفكري البحثي تأسس سنة 1923 في جامعة فرانكفورت، وأول من

<sup>1</sup> <http://www.ingdz.com/vb/showthread.php?t=48408, le:01- 02- 2012, à 17<sup>h</sup> 23>.

طرح فكرة تأسيسه هو "فيلكس فايل" Felix Weil، لكن التوجه الفكري الواضع لهذا المعهد ظهر عام 1930 عندما جلس ماكس هوركهايمر على كرسي إدارته.<sup>1</sup> لقد طرحت الكتابات التي وضعها كارل ماركس تحدياً هائلاً أمام المفكرين في مجال العلوم الاجتماعية لما يزيد على قرن ونصف من الزمان وما زالت المساجلات تدور في هذه الأوساط حتى الآن حول تصورات النظرية بشأن تطور المجتمعات الحديثة على الصعد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، فهناك من يؤيد ويؤسس لفكر ماركسي جديد فيه بعض التحويرات والتشذيبات لنظريته وهناك الناقدون، إذ أن كثيراً من العلماء الاجتماعيين يرون أن ماركس بالغ في تشديده على الدور الذي تقوم به العوامل الاقتصادية في إحداث التغيير الاجتماعي.<sup>2</sup> مرت النظرية النقدية بعدة مراحل حسبما جاء بكتابات هلموت دوبيل وهذه المراحل هي:

**1 - المرحلة الأولى: ( 1930 - 1937 )** وهي مرحلة ازدهار النظرية النقدية حيث كان يطلق على مشروعها النظرية الاقتصادية أو المادية للمجتمع، إذ كان الاعتقاد لا يزال مرتبطاً بالماركسية ونقد الاقتصاد السياسي، وقد جرت محاولة لتطوير علم نفس اجتماعي ماركسي كما ظهر ذلك في كتابات أريك فروم ولم يكن في هذه المرحلة قد أطلق عليها مصطلح النقدية إذ تم ذلك بعد عام 1937.

**2- المرحلة الثانية: ( 1937 - 1940 )** لقد شهدت هذه المرحلة انبثاق أفكار محاولات التوفيق بين الفلسفة والنظرية الاجتماعية وخاصة عند تناول مواضيع أيديولوجيات عرقية كالفاشية والنازية واليهودية، إضافة إلى إضفاء تفسير لكمون الدور التاريخي للطبقة العاملة والتوجه للاهتمام بالمتقنين النقيدين مع التأكيد على ربط التفكير النظري بالواقع العملي.

**3 - المرحلة الثالثة: ( 1940 - 1945 )** هذه المرحلة برزت فيها توجهات نحو فلسفة تاريخية عالمية ونقد للعقلانية وارتباطها بتطوير المجتمعات الرأسمالية.

إن ما ظهر من تباين نظري ومنهجي للفترة أعلاه بين أقطاب مفكري هذه المدرسة وكتابها يعطي انطباعاً أن الاتجاه النقدي لا يمثل مدرسة متجانسة قائمة خاصة بعد وضوح وانجلاء

<sup>1</sup> علاء طاهر، مدرسة فرانكفورت، من هوركهايمر إلى هايرماز، مركز الانماء القومي، بيروت، دون تاريخ، ص 63.

<sup>2</sup> أنتوني غدنز، ترجمة وتقديم، فايز الصباغ، علم الاجتماع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005، ص 706.



التباين بين كتابات هوركهايمر، وأدرنو، ماركيز من جهة وهيرماز من جهة أخرى، بصدد أوجه التمايز والارتباط بين الفعل العقلاني الغرضي والفعل العقلاني الاتصالي وضرورة تكاملهما في تفسير الظواهر الاجتماعية.<sup>1</sup>

ومن بين أبرز رواد هذه النظرية:

- **ماكس هوركهايمر Max Horkheimer**: يرى هوركهايمر أن منهج البحث في علم الاجتماع لابد أن يقوم على التحليل النقدي للواقع القائم، وللنظريات التقليدية في التحليل الاجتماعي، فقد انتقد في كتابه " النظرية التقليدية والنظرية النقدية " (1931) التفكير التقليدي في القائم على التحليل النقدي، متأثراً في ذلك بالأفكار النقدية في الفلسفة الألمانية ومنهج ماركس في نقد الرأسمالية.

وقد ارتكزت أفكاره عموماً على النقد الذي وجهه للرأسمالية كنظام استبدادي حيث يرى أنها تسعى إلى تنويم التناقضات الاجتماعية تلبية لحاجات النظام السياسي، كما انتقد أيضاً العقل في كتابه " جدلية العقل " حيث أن البناء النقدي يقوم على النقد الذاتي المتواصل للعقل بغية تحريره من اتصاله مع الواقع الذي يميل إلى التشيؤ و الترميز، فالعقل في الحضارة الرأسمالية، بالنسبة إليه، يعاني من تشوهات ناجمة عن الهيمنة الشاملة للدولة الرأسمالية على المجتمع<sup>2</sup> كما وجه في نفس السياق انتقاداً شديداً للوضع الحديثة و للاتجاه الامبريقي من حيث مبالغتهما في النظر إلى الأفراد نظرة ميكانيكية كأنهم أشياء خاضعة للتجربة، فالوضع بالنسبة إليه تسعى لتكديس حقائق منعزلة دون التمييز بين المظهر السطحي وبين جوهرها.

- **تيودور أدرنو: Theodor. W. Adorno**: انطلق أدرنو من فكرة أساسية في تحليله النقدي هي البحث عن سبب اخفاق الثورات الاشتراكية بعد نجاحها في روسيا، كما وجه نقداً للتجارب الفاشلة في تطبيق الاشتراكية، أما بالنسبة للفلسفة فقد انتقدها أدرنو من حيث أنها تمثل فكراً فوقياً لا يتعامل مع الوقائع المتأزمة للعالم الواقعي فهي فكر يتضمن مفاهيم وأفكار مثالية بعيدة عن الواقع.

<sup>1</sup> روبرت تسبت، روبرت بيران، ترجمة: جريس خوري، علم الاجتماع، دار النضال، بيروت، 1990، ص 224.

<sup>2</sup> علاء طاهر، مرجع سبق ذكره، ص 63.

في حين في المجال الثقافي والفني قام أدرنو بانتقاد الاعمال الفنية وعلاقتها بالواقع الاجتماعي، وقد ركز في انتقاده هذا على مظاهر الاعمال الفنية المختلفة كالدعاية والدور السياسي والاقتصادي لأجهزة الاستهلاك الجماهيرية، وخلص إلى أن العمل الفني يعبر عن رغبات وحاجات المؤسسات الصناعية دون مراعاة حاجات المجتمع، واعتبر هذه المظاهر الفنية وسيلة من وسائل السيطرة على المجتمع وتوجيهه.<sup>1</sup>

- **هربرت ماركيزوز Herbert Marcuse**: قدم ماركيز في كتابه الانسان ذو البعد الواحد (1966) فكرة سيطرة الالة على جميع مناحي الحياة في المجتمع الصناعي، بحيث أصبح الانسان في هذه المجتمعات خاضعا لسلطة الدولة من خلال سيطرة الالة، وذلك بهدف الحفاظ على ديمومة واستمرارية هذه الدولة، وبالتالي أصبح المجتمع أحادي البعد بهيمنة اتجاه واحد نحو الدولة ومؤسساتها، فالمجتمع الصناعي في رأيه تسوده شمولية البعد الواحد وتهيمن على مجالات حياته أشكال من الرفاهية والتبذير في العيش. فهذا المجتمع يعيش حياة زائفة و مكرسة لاستمرارية هيمنة الدولة<sup>2</sup>

- **بورغين هابرماس Jürgen Habermas**: يرى هابرماس بأهمية دور الفلسفة في العلوم الاجتماعية بما تتضمنه من أسس أخلاقية وما طرحه من مستويات وأسس معيارية في تناول العلم والمعرفة مما يعطي للجانب الإنساني من أهمية ويربط البحث الاجتماعي بمصالح إنسانية عامة، فكان الاتجاه قبل هابرماس في المدرسة النقدية يرى ضرورة بناء معرفة يمكن التحقق من نتائجها بمطابقتها بالواقع أما بمجيء هابرماس أصر مؤكداً بأن الفلسفة تتضمن الوظيفة التأويلية في فهم التجارب بالحياة الاجتماعية والمعرفة العلمية للوصول إلى معرفة نظرية عقلانية متكاملة، فهو يرى أن تكون وظيفة الباحث هي الحركة بين الوقائع الامبريقية والمستوى المعياري والحوافز الفلسفية التي تثير البحث الاجتماعي<sup>3</sup>. كما اعتبر هابرماس الماركسية فكراً ذو قدرة نقدية متميزة، لكنها تحتاج إلى إعادة توجيهه، فالماركسية بالنسبة له ليست معتقداً دوغمائياً أو فكراً علمياً مادياً أو ايديولوجياً فحسب وإنما هي طاقة مستمرة للنقد.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص ص 67 - 70.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص ص 72 - 76.

<sup>3</sup> شاكر حسين الخشالي، مرجع سبق ذكره، ص 95.

ويتفق هابرماس مع ماركيز في نظرتة للمجتمع الصناعي بأنه خاضع تماما لسلطة وهيمنة الدولة الرأسمالية التي تسيطر على الاقتصاد وعلى جميع مناحي الحياة الاجتماعية.<sup>1</sup> أما أبرز ما يميز فكر هابرماس توظيفه لمصطلح "الحدأة" و الذي يشير إلى أنه يعبر عن "خط تواصل رفيق يمثل إرثا عقليا متجذرا في الغرب لإعادة تشكيل الوعي الثقافي الغربي (الالمانى - الفرنسى)، ومن خلال اختراق الحدود الوطنية الضيقة ومعاودة طرح أبعادها طرعا موضوعيا جديدا، لأن الحدأة بمعنى من المعاني إفراز للأطر المتشابهة تصب فيها الثقافات الوطنية دون أن تفقد خصوصيتها"<sup>2</sup>

كما يرى أن تمييز الإنسان لا ينحصر في قدرته على إنتاج وسائل ومواد، وإنما يظهر تميزه من خلال قواعد الاتصال واستراتيجياته والفعل الاتصالي، فالموضوع ليس فقط إنتاج مواد وتحويلها أو توزيعها والتنظيم العقلاى لهذه الوسائل بل لا بدّ وأن يكمل هذا الجانب بعمليات تفاعل واتصال وعلاقات تبادلية مرتبطة بالمصالح لأنّ توزيع الإنتاج يحتاج إلى معايير معترف بها ذاتياً وهذه ترتبط بقواعد الفعل الاتصالي<sup>3</sup>

وعموما حاول هابرماس بناء نظرية مستقلة للمجتمع وتطوره وظهر على محاولته الجمع بين العقلاية العملية متمثلة بالفعل العقلاى الغرضي وبين الجانب المعرفى الثقافى والفلسفى ممثلاً بالفعل العقلاى الاتصالي وربط الجانبين العملى والاتصالي رغم تميزهما في عملية عقلاية متكاملة

#### - الافتراضات التي تقوم عليها المدرسة النقدية:

تقوم هذه النظرية على جملة من الافتراضات تمثل خلاصة ما توصل إليه روادها من أفكار وخاصة هوركهايمر، وتتمثل هذه الافتراضات في النقاط التالية:

- التحرر والانعقاد من الفكر التقليدى بواسطة عقلنة الواقع و البحث عن العناصر العقلية في الواقع، ذلك أن هذه العقلاية تسمح بتطور وتقدم الحياة الاجتماعية وتوفر روابط اجتماعية منظمة تؤدي إلى العدالة.

<sup>1</sup> إيان كريب، مرجع سبق ذكره، ص 330 - 360.

<sup>2</sup> عمر مهيل، من النسق إلى الذات، قراءة في الفكر الغربى المعاصر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002، ص 105.

<sup>3</sup> روبرت تسبت - روبرت بيران، مرجع سبق ذكره، ص 224.

- التشاؤم يولد الفكر النقدي الذي يؤدي إلى راديكالية تغيير الوضع القائم و تثبيت وضع جديد.
- اتهام العقل بالقصور نتيجة استغراقه من قبل الواقع الاجتماعي الذي تسيطر عليه مظاهر التشيؤ.
- تعيش الثقافة أزمة في المجتمع الرأسمالي ناجمة عن قضية الاغتراب الفكري وخضوع الفن والثقافة لأنساق مصنعة غير حقيقية.
- تهيمن الدولة في المجتمع الرأسمالي على جميع مجالات الحياة الاجتماعية وكل مؤسساتها، بهدف تأمين استمرارية وجودها وهيمنتها.
- الدعاية هي إحدى الأدوات الفعالة في السيطرة على وعي الافراد والهيمنة عليهم من قبل الطبقة البرجوازية.
- المجتمع الغربي هو مجتمع مؤلف من التناقضات و أشكال الصراع المختلفة التي تعمل الدولة المهيمنة على اخفاؤها و قمعها بشتى الوسائل.<sup>1</sup>
- ومن خلال التعرض لمختلف أفكار وافتراضات هذه النظرية نجد أنها تعرضت لجملة من الانتقادات يمكن تلخيصها فيما يلي:
- تركز النظرية النقدية على النقد كمنهج لتحليل الظواهر الاجتماعية دون التركيز على نتائج النقد كما أنها لا تقدم الحلول البديلة لمشكلات النظام الرأسمالي التي تذكرها.
- بالرغم من انتقادهم للفلسفة من حيث كونها فكراً فوقياً إلا أن رواد هذه النظرية وقعوا في نفس الخطأ فالطروحات التي قدموها فوقية ولا تتجاوز حدود المنطق العقلي، فالفكر النقدي بهذا الشكل هو فكر مثالي غير واقعي و غير قابل للتطبيق.
- التشاؤمية نزعة فلسفية موجودة فقط عند أصحاب هذه النظرية، وليست نسقا اجتماعيا عاما تعبر عنه شريحة عريضة من المجتمع الرأسمالي وهو ما يفسر عدم سعي أفراد هذا المجتمع إلى التغيير.
- تعاملت هذه النظرية مع الفن في المجتمع الرأسمالي على أساس ما ينبغي أن يكون، وهذه نظرة مثالية نمطية يصعب تحقيقها.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> عمر مهيب، من النسق إلى الذات، مرجع سبق ذكره، ص 105 - 118.

<sup>2</sup> شاكر حسين الخشالي، مرجع سبق ذكره، ص 99.

وعموماً يمكن القول بأن هذه النظرية اتخذت من النقد مفهوماً عاماً تقوم عليه، واستخدمته كمنهج لتحليل الحياة الاجتماعية في المجتمع الرأسمالي وما يعايشه الأفراد في هذا المجتمع من أوضاع سعيها إلى التغيير الراديكالي لهذه الأوضاع.

### 5- النظرية البنوية:

**البنوية:** منهج فكري وأداة للتحليل، تقوم على فكرة الكلية أو المجموع المنتظم. اهتمت بجميع نواحي المعرفة الإنسانية، وإن كانت قد اشتهرت في مجال علم اللغة والنقد الأدبي، ويمكن تصنيفها ضمن مناهج النقد المادي الملحدة. اشتق لفظ البنوية من البنية إذ تقول: كل ظاهرة، إنسانية كانت أم أدبية، تشكل بنية، ولدراسة هذه البنية يجب علينا أن نحللها (أو نفككها) إلى عناصرها المؤلفة منها، بدون أن ننظر إلى أية عوامل خارجية عنها.<sup>1</sup> أي أن البنوية هي نظرية تنظر إلى البنية الاجتماعية كتعبير على تماسك المؤسسات الاجتماعية وتبعيتها المتبادلة.

### - مجالات و رواد البنوية:

كانت البنوية في أول ظهورها تهتم بجميع نواحي المعرفة الإنسانية ثم تبلورت في ميدان البحث اللغوي والنقد الأدبي وتعتبر الأسماء الآتية من مؤسسي البنوية في الحقول المذكورة:

- ففي مجال اللغة برز **فريدنان دي سوسير Ferdinand De Saussure** الذي يعد الرائد الأول للبنوية اللغوية الذي قال ببنوية النظام اللغوي المترامن، حيث أن سياق اللغة لا يقتصر على التطورية *Diachronie*، فاللغة بالنسبة إليه تسببه الورقة ذات الوجهين، حيث يمثل الفكر الوجه الأول بينما يمثل الصوت الوجه الثاني، وكلاهما مترابطان ومتكاملان ولا يمكن الفصل بينهما كما لا معنى لأحدهما دون وجود الآخر.

فتاريخ الكلمة مثلاً لا يعرض معناها الحالي، ويمكن في وجود أصل النظام أو البنية، بالإضافة إلى وجود التاريخ، ومجموعة المعاني التي تؤلف نظاماً يرتكز على قاعدة من التمييزات والمقابلات، إذ إن هذه المعاني تتعلق ببعضها، كما تؤلف نظاماً مترامناً حيث أن هذه العلاقات مترابطة.<sup>2</sup>

- وفي مجال علم الاجتماع **كلود ليفي شتراوس Claude Levi- Strauss**: والذي أراد

<sup>1</sup> جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم لملايين، بيروت، ط2 1984.

<sup>2</sup> إيان كريب، مرجع سبق ذكره، ص 195.

في كتابه "العقل المتوحش" تحليل الظواهر الاجتماعية بهدف الوصول إلى الأسس الكامنة خلف التباين الواقعي للمجتمعات البشرية، فاهتمامه انصب على معرفة وتحليل البناء الاجتماعي مع التركيز على الارتباط بين العناصر البنائية للمجتمع وبناء العقل البشري<sup>1</sup> وقد استخدم في تحليل هذه البناءات المخل البنيوي الأنثروبولوجي.

وقد أكد ليفي شتراوس أن التحليل البنيوي للظواهر الاجتماعية يهتم بتحليل الظواهر كما هي في الواقع، مع التركيز على خصائصها الحقيقية و الابتعاد عن التحليلات الخاطئة والتفسيرات العشوائية بهدف فهمها فهما حقيقيا.<sup>2</sup>

وفي سياق اهتمامه بدراسة الرموز يرى شتراوس أن اللغة ينبغي أن تدرس كبنية من الرموز قبل دراسة علاقتها بالنظم الأخرى كالنظام الاجتماعي والثقافي وغيرها، وهو ما ينسجم مع التحليل البنيوي الذي يهتم بالبنية الداخلية للظاهرة<sup>3</sup>

- ولوي التوسير L. Althusser : الذي ناقش مفهوم " النظرية" من حيث أنها عقلانية وعلمية ومتماسكة ولها القدرة على ايجاد موضوعاتها النظرية الخاصة بها، كما استخدم مفهوم "الممارسة" للدلالة على الفعل الاجتماعي والذي يعتبره القوة المحركة للعناصر المادية للإنتاج.

وفي مجال العلاقات الاجتماعية فهو يرى أن جميع الأبحاث المتعلقة بالمجتمع، مهما اختلفت، تؤدي إلى بنيويات؛ وذلك أن المجموعات الاجتماعية تفرض نفسها من حيث أنها مجموع وهي منضبطة ذاتياً، وذلك للضوابط المفروضة من قبل الجماعة.<sup>4</sup>

كما يؤكد التوسير على أن الدولة هي مصدر التشكيل الاجتماعي والوجود المستمر لعلاقات الإنتاج في المجتمع الرأسمالي، وتنجز الدولة أهدافها بواسطة ممارسة القوة من خلال أجهزتها الأمنية كالشرطة والجيش وغيرها، بالإضافة إلى أجهزتها الايديولوجية كالمؤسسات التعليمية ووسائل الاعلام والمؤسسات الدينية، التي تعمل جميعاً من أجل ضمان

<sup>1</sup> علي عبد الرزاق جليبي، مرجع سبق ذكره، ص 143.

<sup>2</sup> جورج لاباساد و رينيه لورو، ترجمة: هادي ربيع، مقدمة في علم الاجتماع، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، 1986، ص ص 57 - 58.

<sup>3</sup> جون ستوك، ترجمة: محمد عصفور، البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، بدون تاريخ، ص ص 29 - 31.

<sup>4</sup> ايان كريب مرجع سبق ذكره، ص ص 221 - 225.

واستمرار النظام الرأسمالي وهيمنته على كافة البنى الاجتماعية<sup>1</sup>

- وفي مجال علم النفس برز كل من ميشال فوكو وجاك لا كان اللذين وقفا ضد الاتجاه

الفردى Test is Contest في مجال الإحساس والإدراك وإن كانت نظرية الصيغة (أو

الجشلت) التي ولدت سنة 1912م تعد الشكل المعبر للبنى النفسية.

أهم الافتراضات التي تقوم عليها البنيوية:

تعني دراسة أية ظاهرة أو تحليلها من الوجهة البنيوية، أن يباشر الدارس أو المحلل وضعها

بحيثياتها وتفصيلها وعناصرها بشكل موضوعي، من غير تدخل فكره أو عقيدته الخاصة

في هذا، أو تدخل عوامل خارجية (مثل حياة الكاتب، أو التاريخ) في بنیان النص، وكما يقول

البنيويون: "نقطة الارتكاز هي الوثيقة لا الجوانب ولا الإطار Test is Contest وأيضاً:

"البنية تكتفي بذاتها. ولا يتطلب إدراكها اللجوء إلى أي من العناصر الغريبة عن طبيعتها".

\* كل ظاهرة - تبعاً للنظرية البنيوية - يمكن أن تشكل بنية بحد ذاتها؛ فالأحرف الصوتية

بنية، والضمان بنية، واستعمال الأفعال بنية، وهكذا.<sup>2</sup>

\* تتلاقى المواقف البنيوية عند مبادئ عامة مشتركة لدى المفكرين الغربيين، وفي شتى

التطبيقات العملية التي قاموا بها، وهي تكاد تندرج في المحصلات التالية:

- السعي لحل معضلة التنوع والتشتت بالتوصل إلى ثوابت في كل مؤسسة بشرية.

- القول بأن فكرة الكلية أو المجموع المنتظم هي أساس البنيوية، والمردُّ التي تؤول إليه في

نتيجتها الأخيرة.

- لئن سارت البنيوية في خط متصاعد منذ نشوئها، وبذل العلماء جهداً كبيراً لاعتمادها

أسلوباً في قضايا اللغة، والعلوم الإنسانية والفنون، فإنهم ما اطمأنوا إلى أنهم توصلوا، من

خلالها، إلى المنهج الصحيح المؤدي إلى حقائق ثابتة.<sup>3</sup>

\* في مجال النقد الأدبي، فإن النقد البنيوي له اتجاه خاص في دراسة الأثر الأدبي يتخلص:

في أن الانفعال والأحكام الوجدانية عاجزة تماماً عن تحقيق ما تنجزه دراسة العناصر

الأساسية المكونة لهذا الأثر، لذا يجب أن تفحصه في ذاته، من أجل مضمونه، وسياقه،

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص ص 221 - 225.

<sup>2</sup> عمر مهيل، من النسق إلى الذات، مرجع سبق ذكره، ص ص 19 - 23.

<sup>3</sup> عمر مهيل، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، مرجع سبق ذكره، ص ص 16 - 23.

وترابطه العضوي، فهذا أمرٌ ضروري لا بد منه لاكتشاف ما فيه من ملامح فنية مستقلة في وجودها عن كل ما يحيط بها من عوامل خارجية.<sup>1</sup>

#### - الانتقادات التي وجهت لهذه النظرية:

- لم تلتزم حدودها البنيوية، وأنست في نفسها القدرة على حل جميع المعضلات وتحليل كل الظواهر، حسب منهجها، وكان يخيل إلى البنيويين أن النص لا يحتاج إلا إلى تحليل بنيوي كي تفتح للناقد كل أبنية معانيه المبهمة أو المتوارية خلف نقاب السطح. في حين أن التحليل البنيوي ليس إلا تحليلاً لمستوى واحد من مستويات تحليل أي بنية رمزية، نصية كانت أم غير نصية. والأسس الفكرية والعقائدية التي قامت عليها، كلها تعد علوماً مساعدة في تحليل البنية أو الظاهرة، إنسانية كانت أم أدبية.
- لم تهتم البنيوية بالأسس التاريخية في تحليل الظاهرة الاجتماعية، فهي نغفل التطور التاريخي للظاهرة والتغيرات الحاصلة على هذه الظاهرة خلال الفترات الزمنية المختلفة، أي أنها تهمل الجانب الدينامي لمختلف الظواهر.<sup>2</sup>

وكخلاصة يمكن البنيوية منهج فكري نقدي مادي ملحد غامض، يذهب إلى أن كل ظاهرة إنسانية كانت أم أدبية تشكل بنية، لا يمكن دراستها إلا بعد تحليلها إلى عناصرها المؤلفة منها، ويتم ذلك دون تدخل فكر المحلل أو عقيدته الخاصة ونقطة الارتكاز في هذا المنهج هي الوثيقة، فالبنية، لا الإطار، هي محل الدراسة، والبنية تكفي بذاتها ولا يتطلب إدراكها اللجوء إلى أي عنصر من العناصر الغريبة عنها، وفي مجال النقد الأدبي، فإن الانفعال أو الأحكام الوجدانية عاجزة عن تحقيق ما تتجزه دراسة العناصر الأساسية المكونة لهذا الأثر.

#### 6-الاتجاه الفيونومينولوجي ( المدرسة الظاهرية):

- **ظروف النشأة:** نتيجة للتطورات المواكبة لظهور الرأسمالية و ما افرزته من ظواهر مست كافة مناحي حياة المجتمع الصناعي بما فيها العلاقات الاجتماعية، تعرض هذا النظام لكثير من الانتقادات، وقد اتخذت مقاومة قيم المجتمع الرأسمالي الصناعي أشكالاً متعددة، فعلى المستوى السلوكي لجأ الكثير من الشباب إلى رفض هذه القيم و ما يرتبط بها من تصرفات و

<sup>1</sup> ايان كريب، مرجع سبق ذكره، ص ص 195 - 215.

<sup>2</sup> عمر مهيل، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، مرجع سبق ذكره، ص ص 24 - 25.



انسحبوا من المجتمع انسحاباً سلبياً دون أن يحاولوا إحداث تغيير جذري فيه و استبدلوا هذه القيم بقيم أخرى تتمركز في معظمها حول الغوص في الذات و التعبير عنها بحرية.

وبالتالي لجأ الشباب المثقف و خاصة من المتخصصين في العلوم الاجتماعية إلى رفض الاهتمام بدراسة أو فهم الواقع الموضوعي إلى الاهتمام بالذات من الداخل وكانت الفلسفة الظاهرانية خير معين لهم على ذلك.

و على ذلك فإن الاتجاه الفينومينولوجي يمكن النظر إليه باعتباره رد فعل محافظ لفشل الوضعية و الوظيفية مقابل الاتجاهات الراديكالية التي تعتبر رد فعل ثوري لفشل هذه الاتجاهات السابقة الذكر، و يشبه هذا الموقف ذلك الموقف القديم الذي نشأ كرد فعل لفشل الفلسفات الميتافيزيقية إبان عصر التنوير.<sup>1</sup>

وعليه بدأ علماء الاجتماع يشككون في قدرة المناهج الوضعية والامبريقية على فهم الواقع الاجتماعي فهماً عميقاً مما دفعهم إلى طرح بعض البدائل المنهجية كالفهم الفينومينولوجي والتحليل الأثنوميثودولوجي وحينما حققت هذه البدائل المنهجية قدراً من الذبوع والشهرة، بدأ علم الاجتماع الحديث يشهد تنوعاً لم يعرفه من قبل.

وعليه أصبح هذا الاتجاه يعرف بأنه اتجاه مضمونه يشير إلى الوصف الدقيق لمعطيات الواقع في تجاربنا المباشرة، لمعرفة مكونات الظاهرة دون الالتفات إلى جوانبها السطحية أو إلى أعراضها الحسية الظاهرة.<sup>2</sup>

أي أن هذا الاتجاه هو نظرية تبحث في المعاني المعيشة للتجربة الانسانية، أي أنها تسعى إلى تفسير هذه التجربة بواقعية وبعمق.

- رواد الاتجاه الفينومينولوجي:

• إيدموند هوسرل: **Edmund Husserl** انتقد علم الاجتماع بسبب ميله إلى محاكاة العلوم الطبيعية عند النظر إلى الواقع الاجتماعي لقد انتقد بذلك علماء الاجتماع القدرة على الإحساس بظواهر الوعي.

والواقع أن الملاحظات النقدية التي سجلها هوسرل لا تنطبق فقط على الموضوعات التي يهتم بها علماء الاجتماع بل تنطبق أيضاً على المناهج التي يستخدمونها في دراسة الواقع

<sup>1</sup> سمير نعيم أحمد، النظرية في علم الاجتماع، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، 1977، ص ص 233-234.

<sup>2</sup> معن خليل عمر، نظريات معاصرة في علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص 243.

الاجتماعي.

ويستطيع هؤلاء العلماء إنقاذ علمهم من السطحية إذا ما حاولوا العودة إلى ظواهر الوعي باستخدام الفهم الفينومينولوجي، فالفينومينولوجيا هي جهد موظف لوصف الظواهر كما تتبدى لنا من خلال وعينا بها. وبذلك يصبح الوعي وسيلة وهدفاً للفينومينولوجيا.<sup>1</sup>

#### • الفريد شوتز Alfred Schutz :

لم يكن شوتز معروفاً إبان حياته إنما اشتهر بين علماء الاجتماع بعد وفاته، حيث انتبه علماء الاجتماع المعاصرون و المحدثون إلى عمله عن الفعل الاجتماعي و أعماله حول " علم الظاهرات"، و في عام 1943 كتب في النظرية و البحث الاجتماعي و في عام 1956 م توقف عن عمله في المصارف المالية و تفرغ للعمل التدريسي و الكتابة حول الظواهر الاجتماعية فأثر على اتجاهات طلبته العلمية أمثال بيتر برجر و توماس لوكمان و هارولد جارفنكل، هذا التأثير منحه الدخول إلى صلب النظرية الاجتماعية، و في نهاية مطاف حياته أدرك أن مفردات و إيقاعات الحياة اليومية ذات صلة بالمعطيات الثقافية و التاريخية و لا يود فصل بينهما فضلاً عن ذلك لم يكن متفائلاً من نظريته للحياة الاجتماعية<sup>2</sup> ويتضح اسهام شوتز في هذا الاتجاه من خلال جملة من المفاهيم ومن بينها مفهوم التخلل الذاتي أو الذوات المتداخلة والذي يعني أن تداخل ذوات الفاعل لا يحصل بشكل منفرد أو من جانب واحد بل يتطلب حضور الآخر أولاً، و طرح أفكار و آراء يتم نقاشها ثانياً و تبادل التفاعل بينهم ثالثاً ( ساعاتها يحصل تبادل المشاعر بينهم حباً أو كرهاً، و داداً أو بغضاً، إعجاباً أو استعلاءً ) و من ثم يحصل تبادل الذوات بين الفاعل و الحضور.

بتعبير آخر يشترط حضور الآخرين حيوية مفعمة بوساطة نقاشه معهم و استماعهم له و محادثته إليهم و تفاعلهم معه في فترة زمنية معينة، و بقعة جغرافية معلومة الأبعاد، آنذاك يتبلور التخلل الذاتي.

و بناء على حالة " التخلل الذاتي " طرح شوتز مفهوماً آخر في نظريته ليتكامل مع مراد

<sup>1</sup> توم بوتومور، ترجمة: سعد هجرس، مدرسة فرانكفورت، دار أوروبا، ليبيا، 1998، ص 170.

<sup>2</sup> معن خليل عمر، نظريات معاصرة في علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص ص 286 - 287.

بنائه النظري، و هو " النمذجة " حيث يدخل إلى مدار أوسع ليسبر غور تصانيف الحياة الاجتماعية للآخرين، الذين يصنفهم حسب معرفته الذاتية لسلوكهم و أقوالهم و أفكارهم و أشكالهم فيسمهم بسمات تحدد معرفته المحيطية التي غالبا ما تتبلور عن:

1. طريقة عيشه في محيطه الاجتماعي.
2. و علاقاته المتنوعة مع زملائه و أصدقائه و أقاربه.
3. و أهدافه الثقافية.

أي بوساطة التخلل الذاتي يستطيع الفاعل تشكيل نموذج فردي اجتماعي، يضم صفات المتفاعل معه يختزل فيه سيرته الذاتية أو سماته الشخصية، أو نمط تفكيره بصفة عامة و شاملة، تغطي أغلب صفاته السلوكية أو الفكرية الظاهرة و الباطنة ( أي يسمه بسمه تفسر معظم صفاته التي عثر عليها أو لمسها أو تفاعل معها ) كأن يسمه بأنه طيب القلب أو غليظ القلب أو حسود أو كريم النفس و سواها.

أي نمذجة سلوك الناس الذين يتفاعل معهم و يتخلل ذواتهم و بهذه الكيفية تكون النمذجة ممثلة لحكم ذاتي يتضمن معايير ذاتية — اجتماعية تعكس تأثيرات المحيط الاجتماعي الذي يعيش في وسطه الفاعل ويتم التعبير عن النمذجة بواسطة اللغة.<sup>1</sup>

كما أكد على أهمية وجود علم اجتماعي يسهم في حل المشكلات الاجتماعية ويكون مرشدا للسياسيين في حياتهم المهنية. ومن اجل تصحيح المعارف العلمية التي تركتها النزعة الوضعية (كونت و اميل دوركايم)، كما أن الكثير من المشتغلين بعلم الاجتماع يربطون بينه وبين فيبر في سعي كل منهما إلى فهم الواقع الاجتماعي.\*

#### - الأفكار الأساسية للاتجاه الفينومينولوجي:

- يحاول الاتجاه الفينومينولوجي في علم الاجتماع إعادة النظر في كثير من المسلمات النظرية والمنهجية الشائعة في الفكر السوسيولوجي الحديث وهي:
- تأكيد الفارق الهام بين الظواهر الطبيعية والظواهر الاجتماعية.
- يرفض اعتبار العلوم الطبيعية نموذجا يمكن أن تحاكيه العلوم الاجتماعية.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص ص 246 - 250

\* بالإضافة إلى اسهامات كل من هوسلر وشوتز، هناك اسهامات علماء آخرين كمارتن هيدجر وموريس ميرلوبينتي وهي لا تتعد فكريا عن أفكار العالمين السابقين.

- الظواهر الطبيعية لا تعبر عن بناء خارجي من المعاني وبالتالي يتيح للباحث حرية الملاحظة وتفسير الظواهر التي يدرسها تفسيراً خارجياً مستقلاً.

- اعتبار موضوع المعرفة هو نفسه الوعي بذات المعرفة، ومن ثم فالفكرة الأساسية في النظرية الظاهرانية تكمن في مفهومها وتفسيرها لقصدية الوعي، وكيفية توجيهه نحو الموضوع، فليس هناك موضوعاً بدون ذات، ولا وجود إطلاقاً للواقع المستقل عن الوعي الذاتي.<sup>1</sup>

- يدرس الباحث في العلوم الاجتماعية عالم يتشكل من خلال المعاني التي تمثل بالنسبة له وسيلة لفهم الواقع كما أن الظواهر الاجتماعية تكتسب معاني خاصة بالنسبة للأفراد الذي يعيشون في إطار ثقافي معين ومن هنا يتضح مدى الاختلاف بين دور عالم الاجتماع في فهم الواقع الاجتماعي ودور العالم الطبيعي في دراسة العالم المادي فالعالم الطبيعي يدرس ظواهر لا تتخذ بناء معرفي مسبق وبالتالي فهي لا تعرف القصد أو الإرادة، وعلى الرغم من أن العالم الطبيعي يدرس ظواهر طبيعية توجد في إطار اجتماعي إلا أن علاقته بهذه الظواهر هي علاقة خارجية تختلف تمام الاختلاف عن علاقة العالم الاجتماعي بالظواهر الاجتماعية التي يدرسها.

ويتعارض الاتجاه الفينومينولوجي مع النزعة الوضعية، فيؤكد الفينومينولوجيون صعوبة الفصل بين العالم الاجتماعي من ناحية وأساليب تفسيره وفهمه من ناحية أخرى.<sup>2</sup>

وعموماً يمكن تلخيص أفكار هذا الاتجاه بأنه يركز على العلاقة بين الذات والآخرين أي بين الفرد والمجتمع.

#### - الانتقادات التي تعرض لها هذا الاتجاه:

- يركز هذا الاتجاه على دراسة المعاني والخبرات المشتركة بين الأفراد في المجتمع بوصفها أساساً للحياة الاجتماعية وبإهمال الاختلافات والصراعات الواقعية داخل المجتمع. ويتعارض ذلك تماماً مع التحليل العلمي الواقعي للمجتمع الذي يبين بالأدلة القاطعة أن العالم تمزقه الصراعات على كافة المستويات.

<sup>1</sup> علي الحوات، النظرية الاجتماعية، اتجاهات أساسية، منشورات ELGA، مالطا، 1998، ص ص 216 - 217.

<sup>2</sup> معن خليل عمر، نظريات معاصرة في علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص ص 286 - 287.

• تجاهل أصحاب الاتجاه الفينومينولوجي مسألة الصراع الطبقي العنيف في مجتمعاتهم ورفضوا حتى أن يروه أو يسيروا إليه أو يفسروه على الرغم من أنه كان يفرض نفسه على الجميع، كما أنهم تجاهلوا الواقع الاجتماعي الاقتصادي للمجتمع ودرسوا الخبرة اليومية وأسلوب التفكير كما لو كانا منفصلين عن الواقع ولا يتأثران به<sup>1</sup>.

### 7- مدرسة الاثنية المنهجية: "الأثنوميثودولوجي"

يتصف هذا الاتجاه مثل غيره من الاتجاهات الظاهرانية بموقفه النقدي و الراض للاتجاه الوضعي في علم الاجتماع، و قد ظهر هذا المصطلح (الأثنوميثودولوجيا) في عام 1967 حينما نشر العالم الأمريكي هارولد جارفنكل، كتابه بعنوان: "دراسات في الاثنوميثودولوجيا" حيث صاغ جارفنكل مصطلح الأثنوميثودولوجي متأثراً بالفلسفة الظاهرانية (فلسفة الظواهر) و من ثم فقد نهض المنظور الأثنوميثودولوجي على أسس فلسفية و على مستوى من التنظير يوصف بأنه ما وراء النظرية.<sup>2</sup>

وترجع الجذور الفكرية لمنظور الاثنوميثودولوجي إلى كل من التفاعلية الرمزية و الفلسفة الظاهرانية (الفينومينولوجي)، و على الرغم من تأثر هذا المنظور بأراء هاتين المدرستين من مدارس الفكر الاجتماعي، إلا أن هذا المنظور قد اتخذ له وجهة نظر مختلفة عن الواقع أو العالم الاجتماعي، مما أدى إلى ظهوره على اعتبار أنه أحد البدائل النظرية المعاصرة المطروحة في علم الاجتماع الغربي، و يذهب "والاس" إلى أنه يمكن اعتبار المنظور الأثنوميثودولوجي على أنه بمثابة أحد الاتجاهات المعاصرة للتفاعلية الرمزية.

و من داخل هذا الإطار المتأثر بالتفاعلية الرمزية و الفينومينولوجية والاتجاهات النقدية، صاغ عالم الاجتماع الأمريكي "هارولد جارفنكل" مفهومه عن المنظور الأثنوميثودولوجي، و استطاع جارفنكل تكوين مدرسة فكرية لتبني هذا المنظور الجديد في جامعة كاليفورنيا حيث كان يزاول مهنة التدريس في مدينة لوس أنجلوس، ثم انتشر هذا المنظور حديثاً في باقي الولايات المتحدة و كندا و بريطانيا و غير ذلك من الدول.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> سمير نعيم أحمد، النظرية في علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص ص 249 - 251.

<sup>2</sup> سمير نعيم أحمد، النظرية في علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص 245.

<sup>3</sup> طلعت إبراهيم لطفى و كمال الزيات، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار غريب، القاهرة، 1999، ص 143.

وقد حدد جارفنكل المقصود الأثنوميثودولوجيا بقوله: إن الدراسات الأثنوميثودولوجية تحلل أنشطة الحياة اليومية تحليلاً يكشف عن المعنى الكامن خلف هذه الأنشطة و تحاول أن تسجل هذه الأنشطة و تجعلها مرئية و منطقية و صالحة لكل الأغراض العلمية.<sup>1</sup>

#### - الافكار الأساسية للاتجاه الأثنوميثودولوجي:

- يهتم المنظور الأثنوميثودولوجي بالطرق التي يتبعها أعضاء المجتمع لإقناع بعضهم البعض بأن أحد الأفراد يكون أو لا يكون منحرفاً ويفترض أصحاب المنظور الأثنوميثودولوجي أن النظام الاجتماعي العام تتم المحافظة عليه عن طريق استخدام أعضاء المجتمع لعدة طرق وإجراءات منهجية تجعلهم يشعرون بالحقيقة الاجتماعية الخارجية أو النظام الاجتماعي العام، أي أن اتفاق أعضاء المجتمع على مجموعة عامة من الطرق أو الإجراءات هو الذي يشكل معنى الواقع الاجتماعي بوجه عام.
- يرى أصحاب هذا المنظور أنه يجب إثارة التساؤلات حول الأبنية الاجتماعية القائمة، فكثيراً من القواعد و المعايير الاجتماعية ليست معروفة بشكل واضح لأعضاء المجتمع، ومع ذلك فهي تستخدم كأشياء مسلم بها.
- يهدف المنظور الأثنوميثودولوجي إلى وصف كيفية قيام أعضاء المجتمع أثناء تفاعلهم في الحياة اليومية بصياغة المفاهيم حول المواقف المختلفة و كيفية قيامهم بتشكيل الحقيقة الاجتماعية، و يرى أصحاب هذا المنظور أن تشكيل الحقيقة الاجتماعية تعد عملية مستمرة من التفسير، و ذلك نظراً لأن موافقة أعضاء المجتمع حول تعريف مواقف الحياة تعد عملية متغيرة (دينامكية) و غير ثابتة.

- يؤكد المنظور الأثنوميثودولوجي أن الواقع الاجتماعي في حالة تغير دائم و أنه يمكن دراسة هذا التغير على مستوى الوحدات الاجتماعية الصغرى دون الوحدات الكبرى و نجد أن هذا المنظور يحث الأفراد على تغيير ذواتهم بدلاً من تغيير النظام الاجتماعي القائم.<sup>2</sup>

#### - الانتقادات المقدمة للاتجاه الأثنوميثودولوجي:

- يرى عالم الاجتماع الأمريكي ألفن جولدنر أن جارفينكل يقدم بفكره بديلاً للعنف في مقاومة الوضع القائم في المجتمع الأمريكي، ذلك أنه يدعو إلى نوع من الفوضوية قد يروق

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 145 - 149.

<sup>2</sup> طلعت إبراهيم لطفي و كمال الزيات، مرجع سبق ذكره، ص ص 149 - 151.

للشباب الساخط على النظام الاجتماعي، فالمنهجية الشعبوية دعوة إلى تغيير الذات بدلاً من تغيير النظام<sup>1</sup>.

• جعل جارفنكل من كل نواحي النسق الاجتماعي وظيفة لعملية التطابق و الترشيد و في هذا افراط في تبسيط ما هو مركب و معقد و يبدو أن هذه مشكلة دراسات الوحدات الصغرى عندما تتزايد في التصغير.

• يركز هذا الاتجاه الاهتمام على مواقف الحياة اليومية و كيفية تصور الناس لها بحيث يصرف الاهتمام تماماً عن أي شيء يتصل بالبناء الاجتماعي و عن أزمات هذا البناء، فهو يقدم علم اجتماع محور اهتمامه هو الكلام و الكلام عن الكلام بدلاً من الاهتمام بطبيعة ما يفعله الناس و بالعلاقة الجدلية بين الفكر و الفعل<sup>2</sup>.

و عموماً يمكن القول بأن أفكار هذا الاتجاه طرحت في القرن العشرين و التي استحدثت في علم الاجتماع وفق ظروف معينة، وحاولت تقديم منظور حول البناء والنظام الاجتماعيين، فالتفاعلية الرمزية فسرت النظام من خلال أحداث المعاني المشتركة، أما بالنسبة للأنثوميثودولوجي فالنظام هو كيفية تعايش الافراد مع الوضع القائم بشتى الوسائل ومهما كانت أحوال هذا النظام، والتكيف معها و فهمها.

#### 8- علم الاجتماع، من الحادثة إلى ما بعد الحادثة:

يدل المفهوم الاصطلاحي لكلمة الحادثة على حمولة فلسفية وإيديولوجية، تركز على أحداث ووقائع تميزت بها حقبة تاريخية معينة، في حيز جغرافي محدد، ويتعلق الأمر بالتحويلات السياسية والفكرية والعلمية والاقتصادية والحضارية التي عرفتها أوروبا الغربية، في مرحلة زمانية لا تتفق الآراء على تحديدها بالضبط، وتمتد على الأرجح بين بداية القرن السادس عشر والقرن العشرين.

وحسب القاموس الدولي للمصطلحات الأدبية، فإن وصف حديث (moderne) بدأ يستعمل في المحادثة الفرنسية في القرن السادس عشر، للتمييز بين ما يرجع للماضي المتمثل في

<sup>1</sup> سمير نعيم أحمد، النظرية في علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص 249.

<sup>2</sup> محمد فؤاد حجازي، مرجع سبق ذكره، ص 222.

العهد الإغريقي والروماني، وما هو حديث في تلك الفترة التي امتدت إلى القرن الثامن عشر<sup>1</sup>

ويرى بعض العلماء أن الحداثة بنية جديدة دخلت فيها الإنسانية منذ خمسة قرون أو أربعة، في رقعة معينة، ويقصد أوروبا الغربية، وأخذت منذ قرن ونصف في الانبساط على كل المعمورة<sup>2</sup>؛ ويعتبر المؤرخ البريطاني (أرنولد توينبي) أن الحداثة بدأت عام 1875، وشهدت الفترة المتراوحة بين عامي 1910 و1950 ذروة الحداثة، لتبدأ بعد ذلك حقبة أخرى هي ما بعد الحداثة<sup>3</sup>، ويرى هشام شرابي أن الحداثة تشير إلى الفترة المعروفة بعصر الحداثة والتنوير في أوروبا، بدءاً من نهاية القرن الثامن عشر، إلى منتصف القرن العشرين، لتأتي بعد ذلك مرحلة ما بعد الحداثة، من منتصف القرن العشرين، وخاصة منذ السبعينيات، ويرى محمد سبيلا أن الدلالة التاريخية للحداثة تشير إلى فترة مرجعية في أوروبا ابتداء من القرن الخامس عشر إلى القرن التاسع عشر<sup>4</sup>.

أما ألان توران Alain Touraine فقد وصف الحداثة بأنها «ثورة الإنسان المتثور ضد التقليد، وتقديس المجتمع، وخضوع العقل لقانون الطبيعة.. والحداثة في مفهومها الغربي هي نتاج العقل نفسه»<sup>5</sup>

وعليه فمصطلح الحداثة «يشير إلى بنية فلسفية وفكرية تمثلت في الغرب في بروز النزعة الإنسانية بمدلولها الفلسفي، التي تعطي للإنسان قيمة مركزية ومرجعية أساسية في الكون، وكذا في بروز نزعة عقلانية أداتيه صارمة في مجال المعرفة والعمل معا، حيث نشأت العلوم التقنية الحديثة، والعلوم الإنسانية الحديثة، والنزعات الحديثة على أساس معايير عقلانية صارمة»<sup>6</sup>.

وللتمييز بين مرحلة الحداثة والمراحل السابقة لها والتي أطلق عليها "ستيوارت هول" مصطلح "التقليدية" وضع هول الخصائص المميزة للحداثة كما يلي:

1 Dictionnaire International des Termes littéraires, Mode article, Modernité/modernity, <http://www.ditl.info/art/definition.php>, term=2976, le : 25-05-2011, à 15<sup>h</sup>:30.

2 هشام جعيط، الحداثة المنقوصة ما توصيفها؟ جريدة الزمان، لندن، العدد 1407، بتاريخ 17 يناير 2003.  
3 المرجع نفسه.

4 محمد سبيلا، دفاعا عن العقل والحداثة، منشورات الزمن، رقم 39، 2003، ص 22.

5 [http://www.wolton.cnrs.fr/\\_modernité.htm](http://www.wolton.cnrs.fr/_modernité.htm), le : 23 - 09- 2010, à 15<sup>h</sup>:30.

6 محمد سبيلا، مرجع سبق ذكره، ص 22.



- من المرتكزات الأولية والأساسية التي قامت عليها الحداثة، الثورة على الكنيسة، وبعد مراحل من تطور الفكر الفلسفي في الغرب، أصبحت الثورة المعلنة على الكنيسة ورجال الكهنوت، ثورة على الدين نفسه، ومن هنا جاءت مقولة (نيتشه) الشهيرة: «قد مات الإله» وأضحى تنظيم شؤون المجتمع وأفراده لا علاقة له بالدين، وراج شعار «الإنسان يصنع تاريخه»<sup>1</sup>

- أما المرتكز الثاني فهو العقلانية، ويقصد بالعقلانية احتكام الإنسان إلى العقل، في كل ما يحيط به، وفي وجوده وحياته وعلاقاته، فلا يقبل إلا ما يقبله عقله، ويرفض ما لا يقبله، وبالتالي يكون العقل هو أداة الحكم على كل شيء، ووسيلة لسبر أغوار مختلف الظواهر، وإدراك كنهها، ويلح (Alain Touraine) على الارتباط الوثيق بين الحداثة والعقلانية، ويقول « أن المشروع الغربي للحداثة لم يقتصر على تاريخ تقدم العقل، الذي هو أيضا تقدم الحرية والسعادة، وتاريخ هدم المعتقدات، والانتماءات والثقافات التقليدية، وإنما أراد أن ينتقل من الدور الأساسي المعترف به للعقلانية، إلى فكرة أوسع، هي فكرة مجتمع عقلاني، يحكم فيه العقل، لا النشاط العلمي والتقني فحسب، بل حكومة البشر، وإدارة الأشياء، فالحداثة تصور المجتمع على أنه نظام يخضع للعقل بوصفه الأداة الوحيدة لتحرير الطبيعة الإنسانية من جميع السلطات المحيطة به»<sup>2</sup>

- في حين المرتكز الثالث هو اعتماد العلم ومناهجه ويعني ذلك بصفة خاصة الابتعاد عن الغيبيات، والأخذ بالمنطق العلمي الذي لا يُقر إلا بما تُثبتته التجارب العلمية، وبذلك أصبح الإنسان صانع تاريخه، وسادت العقلانية المادية، التي تعطي للإنسان وما يتوفر عليه من قدرات، قيمة مركزية في الكون، وترتكز هذه النظرة على النتائج الباهرة للتقدم العلمي والتكنولوجي منذ أن تحرر العقل الأوروبي من قيود الكنيسة، وانطلاقه في فضاء رحب لارتياح المعرفة<sup>3</sup>

- بينما المرتكز الرابع الذي قامت عليه الحداثة فهو الحرية الفردية التي تعني تحرر الفرد من كل القيود التي تعطل قدراته الذاتية في البحث عن أنجع السبل لتحقيق ما يطمح

<sup>1</sup> مصطفى خلف عبد الجواد، مرجع سبق ذكره، ص ص 141 - 143.

<sup>2</sup> رضوان جودت زيادة، صدى الحداثة، ما بعد الحداثة في زمنها القادم، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2003، ص

<sup>3</sup> مصطفى خلف عبد الجواد، مرجع سبق ذكره، ص 142.

إليه من تطور، أو تحول دون تلبية لرغباته، أو تمنعه من الوصول إلى السعادة وفق تصوره الخاص، ويمتزج هذا المفهوم بمقاصد المذهب الليبرالي الذي يعتبر الحرية هي الغاية الأولى والرئيسية التي يتطلع إليها الفرد بطبيعته، ويركز على أهمية الفرد الذي هو غاية بذاته، وضرورة تحرره من كل أنواع السيطرة والاستبداد، سواء كان مصدرها الدولة وأجهزتها، أو النظام الاجتماعي وما يشمله من تقاليد وأعراف.<sup>1</sup> ونتيجة لسيادة الجرية الفردية ظهرت تيارات الديمقراطية الليبرالية، والدعوة إلى احترام حقوق الانسان. إذن اقترنت الحداثة بانتشار فلسفة الأنوار في الغرب، فهي محصلة لسياق التطور التاريخي الغربي، وبالتالي فهي وريثة تراكمات حقبة زمنية مختلفة تنتهي إلى الحداثة بوصفها الزمن التاريخي الذي كثف معارف العصور السابقة جميعها، وأعاد إنتاجها بصفة إنسانية من نوع جديد أطلق عليها النزعة الإنسانية، لتتجه هذه النزعة إلى أخذ السمة الكونية، ليس لمزاياها التقدمية فقط، وإنما لتدخل عدة اعتبارات وعوامل سياسية واقتصادية واجتماعية.

غير أن الحداثة لم تكن بمثابة صيغة نهائية لصورة المجتمعات التي نشأت فيها، حيث برزت أفكار ونظريات تتحدث عن مرحلة جديدة يُطلق عليها ما بعد الحداثة، وهي المرحلة التي تتجلى من خلال النظرة النقدية لما آلت إليه الأوضاع في المجتمعات الغربية، وبروز نزعة تعيد التفكير الغربي إلى مساءلة الأسس والمقومات التي انبنى عليها. ويقوم تيار ما بعد الحداثة على انتقاد ورفض مبادئ الحداثة، حيث يرى أصحاب هذا الاتجاه بأن المبادئ التي قامت عليها الحداثة لم تعد قادرة على مسايرة التغيرات الحاصلة في المجتمعات الغربية.<sup>2</sup>

وقد اختلف المفكرون حول كون هذه المرحلة - ما بعد الحداثة - تعني فترة زمنية جديدة، جاءت على أنقاض فترة الحداثة، التي وهنت واعترتها عدة أزمنة، وانهارت ركائزها الفكرية، مثل نشئه، في حين يرى البعض الآخر مثل فرنسوا ليوتار أن هذه الفترة التاريخية التي يُطلق عليها ما بعد الحداثة، لا تعدو أن تكون الطابع الأفضل للحداثة التي تزعم أنها عوضتها؛ ويعبر عن نفس هذا التوجه الأخير بصيغة مغايرة هابرماس الذي يرى

<sup>1</sup> [http://www.wolton.cnrs.fr/glossaire/fr\\_modernisation.htm](http://www.wolton.cnrs.fr/glossaire/fr_modernisation.htm), le : 07-07-2010, à 09<sup>h</sup>:00

<sup>2</sup> عبد العالي دبله، *مدخل إلى التحليل السوسولوجي*، منشورات، مخبر المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة، الدار الخلدونية، الجزائر، 2011، ص 36.

أن الحادثة أنجزت مجتمعها، وعلينا أن نقرأ مكامن الضعف ضمن مشروعها نفسه، حيث يقدم قراءة للحادثة في ضوء ما يسميه بالعقلانية التواصلية من أجل ترسيخ الحادثة السياسية القائمة على تعميق الديمقراطية وحقوق الإنسان.<sup>1</sup>

كما يرفض عالم الاجتماع ألان توران تيار ما بعد الحادثة ويدعو إلى إعادة تعريف الحادثة من جديد رغم نقده لها، ففي كتابه "نقد الحادثة" حيث أكد أن هذا النقد لا يعني التخلي عنها، وهو بهذا يحاول إعادة الاعتبار للذات (الحرية الفردية) والعقلانية اللتين انتقدتا من قبل مفكري ما بعد الحادثة.<sup>2</sup>

وقد امتد هذا الخلاف إلى تسمية المرحلة، فهناك مجموعة من العلماء من بينهم انتوني جينز و أولريش بيك يفضلون مصطلح الحادثة المتأخرة، التي يعرفها جينز بأنها "عصر يكون فيه المجتمع أكثر وعياً بتبعات الحادثة - خاصة السلبية منها- ويؤمن أن المشروع الحديث لتحسين الأوضاع الإنسانية لا يزال ممكن الانجاز، ويستخدم جينز هذا مصطلح الانعكاسية، للإشارة إلى الوعي الناقد القوي، الذي يرتبط بالحادثة المتأخرة، ويعتبره من الخصائص الأساسية لهذه المرحلة.<sup>3</sup>

وتكمن الفكرة الأساسية لتيار ما بعد الحادثة في الاعتقاد بأن أساليب العالم الغربي في الرؤى والمعرفة والتغير طرأ عليها في السنوات الأخيرة تغير جذري نجم في الأغلب عن التقدم الهائل في وسائل الإعلام والاتصال والتواصل الجماهيري وتطور نظم المعلومات في العالم ككل مما ترتب عليه حدوث تغيرات في اقتصاديات العالم الغربي التي تعتمد على التصنيع وازدياد الميل إلى الانصراف عن هذا النمط من الحياة الاقتصادية وظهور مجتمع وثقافة من نوع جديد.<sup>4</sup>

ويرى فريديريك جيمسون أن كلمة ما بعد الحادثة تتطوي على مفهوم التمرحل والذي تكون مهمته منصبة على ربط بروز سمات شكلية جديدة في الثقافة ببروز سمات جديدة في الحياة الاجتماعية ونظام اقتصادي جديد بما يعرف غالباً حسب التعابير المطلقة بالمجتمع ما

1 رضوان جودة زيادة، مرجع سبق ذكره، ص 82.

2 دبله عبد العالي، مرجع سبق ذكره، ص 39.

3 أنتوني جينز، مرجع سبق ذكره، ص 716.

4 أحمد زايد، "البحث عن ما بعد الحادثة"، في: مجلة العربي، العدد 506، ص 18.

بعد الصناعي أو الاستهلاكي أو بالنظام الرأسمالي متعدد القوميات أو مجتمع وسائل الإعلام.<sup>1</sup>

وبناء على ما سبق يمكن القول بان تيار ما بعد الحداثة يستند إلى مجموعة من

المبادئ التي ينطلق منها في معالجته لمختلف القضايا وهي على النحو التالي :

1- العدمية : وتعنى انعدام قيمة القيم في ظل الحداثة ومنجزاتها ونقد الذات وإنكار الحقيقة والموضوعية والتاريخ، ويمثل هذا المبدأ المنطق الداخلي لتيار ما بعد الحداثة.

2- التعامل مع مختلف القضايا من خلال اللغة، حيث تتركز تحليلات ما بعد الحداثة على الخطاب وهذا يعنى أن تحليل النصوص أو تفكيكها قد أصبح يحظى بالمكانة الأولى في الجهد النظري لمفكري ما بعد الحداثة.<sup>2</sup>

3- سعت حركة ما بعد الحداثة إلى تحطيم الأنساق الفكرية الكبرى المغلقة والتي عادة ما تأخذ شكل الايديولوجيات، على أساس زعمها تقديم تفسير كلي للظواهر، كما أنها انطلقت من حتمية وهمية لا أساس لها.

4- ترفض حركة ما بعد الحداثة كل عمليات التمثيل سواء أخذت شكل الإنابة بمعنى أن شخصا يمثل الآخرين أو التشابه وذلك حين يزعم المصور أنه يحاكي في لوحته ما يراه في الواقع.<sup>3</sup>

انطلاقاً مما سبق يمكن النظر إلى ما بعد الحداثة باعتبارها "حالة حضارية تهدف إلى

خلق نمط ثقافي و معرفي يتعارض مع الحداثة، له سمات وخصائص تمجد عدم التحديد

واللامعنى والتعددية والاختلاف والنسبية في النظر إلى الواقع ويعلي من قيمة الثقافة

والمعرفة في توجيه المجتمع الانساني"، وهذا يعنى أنها مرحلة من مراحل تطور المجتمعات

تلي الحداثة وتهدف إلى - في ضوء منطق التحولات التي افرزتها- إلى إعادة هيكلة البنية

الموجودة داخل مستويات الوجود الانساني.

<sup>1</sup> فردريك جيمسون، ترجمة: ماجي عوض الله، "ما بعد الحداثة الاستيعاب والسياسة"، في: مجلة إبداع، العدد 11، نوفمبر 1992، ص 44.

<sup>2</sup> السيد ياسين. الحداثة وما بعد الحداثة في: محمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي، "نصوص مختارة": الحداثة، دار

توبقال، المغرب، 1996م، ص120.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 122.

## خلاصة الفصل:

علم الاجتماع هو العلم الذي يهتم بدراسة الواقع الاجتماعي، وقد اتبظ ظهوره في المجتمعات الغربية بحاجة اجتماعية تتمثل في فهم وتحليل التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي طرأت على تلك المجتمعات في القرن التاسع عشر، ثم تم تبنيه بكل أطره المعرفية والنظرية في المجتمعات العربية- ومنها الجزائر- بنفس الصورة، وهو ما أثر على تعليمية علم الاجتماع التي تعتبر محاولة ملاءمة مضامين هذا العلم مع متطلبات المتعلمين، وهو ما يتطلب من الأستاذ الكثير من المهارات والتحكم في مضامين المادة التعليمية وتحليلها، فإلى أي مدى يمتلك أساتذة علم الاجتماع بالجامعة الجزائرية هذه المهارات؟ وهو ما سنحاول الاجابة عليه من خلال الفصل القادم.